معجزة
الإسراء والمعراج

كَتَبَهُ
محمد بيومى
غفر الله له ولوالديه

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع
المنصورة ـ أمام جامعة الأزهر
تليفون ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾.

وبعد:

فإن الله تعالى أيَّد نبيه محمداً ﷺ بمعجزات كثيرة ومتنوعة، ومعجزاته ﷺ منها ماهو دائم ومنها ما هو مؤقت.

* **المعجزة الدائمة:** لقد كانت معجزات الأنبياء السابقين حسية تنقضى فى زمانها وهى لمن شاهدها، أما معجزة نبينا الكبرى وهى القرآن الكريم فهى معنوية دائمة تحدى بها الناس جميعاً إلى يومنا هذا.

* **المعجزات المؤقتة:** وهى المعجزات الحسية التى شاهدها الناس فى حياته ﷺ: كنبع الماء من أصابعه، وتكثير الطعام، وانشقاق القمر، ونطق الجماد، فهذه المعجزات منها ما وقع التحدى به، ومنها ما وقع دالاً على صدقه ﷺ من غير سبق تحد.

ومن هذه المعجزات المؤقتة: الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم العروج به إلى السموات العلى حتى انتهى إلى سدرة المنتهى.

وهذه الرسالة التى بين يديك ـ أخى المسلم ـ تتحدث عن معجزة الإسراء والمعراج وقد التزمت فيها بإيراد الأحاديث الصحيحة الواردة فى هذه المسألة.

كما ذكرت بعض الفوائد المهمة والتى ستقف عليها ـ أخى الحبيب ـ بين ثنايا هذه الرسالة.

والله أسأل التوفيق والسداد فى القول والعمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كَتَبَهُ
أبو عبد الرحمن
محمد بن بيومى
مصر ـ المنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

* **معنى الاسراء:**

الإسراء: هو ذهاب الله بنبيه محمدا ﷺ راكباً على البراق من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بإيلياء ـ مدينة القدس ـ فى جزء من الليل، ثم رجوعه من ليلته.

* **معنى المعراج:**

المعراج: هو صعود الرسول ﷺ من المسجد الأقصى فى تلك الليلة بعد إسرائه إلى السموات العلى، ثم إلى سدرة المنتهى، ثم رجوعه إلى بيت المقدس فى تلك الليلة فى جزء من الليل.

«والمعراج مفعال، من العروج، أى الآلة التى يعرج فيها، أى يُصعد، وهو بمنزلة السُّلَّمَ، لكن لا يعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغيَّبات، نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته»[(١)].

حقيقة الإسراء والمعراج

قال الحافظ ابن كثير: مذهب جمهور السلف والخلف أن الإسراء كان ببدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه وصعوده فى المعراج وغير ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصا الَّذي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾ والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة فدل على أنه بالروح والجسد، والعبد عبارة عنهما، وأيضاً فلو كان مناماً لما بادر كفار قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له إذ ليس فى ذلك كبير أمر، فدل على أنه أخبرهم بأنه أسرى به يقظة لا مناماً. وقوله فى حديث شريك عن أنس: «**ثم استيقظت فإذا أنا فى الحجر**» معدود من غلطات شريك[(٢)].

(١)شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٢٣).
(٢)البداية والنهاية (٣/ ١١٣، ١١٤)

وقال الحافظ ابن حجر:اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة: فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعاً فى ليلة واحدة فى اليقظة بجسد النبى ﷺ وروحه بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغى العدول عن ذلك إذ ليس فى العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل[1].

و قال السيوطى: اختلف فى المعراج والإسراء؛ هل كانا فى ليلة واحدةً أم لا، وأيهما كان قبل الآخر، وهل كان فى اليقظة أو المنام، أو بعضه فى اليقظة وبعضه فى المنام ،وهل كان مرة أو مرتَيْن أو مراتٍ.

* المذهب الأول:

ذهب الجمهورُ من المفسرين والمحدثين والفقهاءِ والمتكلمين إلى أنهما وقعا فى ليلةٍ واحدة فى اليقظة ، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، وقوله تعالى: ﴿**سبحان الذى أسرى بعبده**﴾، لأنَّ التسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، ولو كان مناماً لم يكن فيه كبيرُ شىء، ولَماَ بادرتْ قريشٌ إلى إنكاره، ولا ارتدّ جماعة من ضعفاء مَن أسلم، ولأن العبد عبارةٌ عن مجموع الرُّوح والجسد، ولو كان مناماً لم يقُلْ بعبده بل برُوح عبده ، وليس فى العقل ما يُحيلُ ذلك أيضاً، ولأنه حُمل عَلىَ البُراق والرُّوحُ لا تُحمل، وإنما يُحمل البَدن.

* مذهب آخر:

وذهب جماعةٌ إلى أنَّ الإسراءَ كان بروحه فى المنام، فقد كان معاوية يقولُ إذا سئل عن الإسراء: كانت رؤيا من الله صادقة. وقالت عائشة: ما فَقَدْتُ جسدَ رسول الله ﷺ وإنما أُسرىَ برُوحه.رواهما ابن إسحاق فى السيرة. ولقوله تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ**﴾ [الإسراء: ٦٠] والرُّؤْيا إنما تُطْلَق عَلَى ما كان مناما، ولظاهر ما فى بعض الأحاديث السابقة من قوله: «**بينا أنا نائم**»، وفى بعض الطرق« **فاستيقظتُ وأنا بالمسجد الحرام**». وأُجيب عن الآية بأن قوله: ﴿**فِتْنَةً لِّلنَّاسِ**﴾ يريد أنها رؤيا عين، إذ ليس فى الحُلم فتنة، ولا يكذب به أحد. وقيل:

(١) «فتح البارى» (٧/ ٢٣٧) ط .دار الريان للتراث.

إنَّ الآية نزلت فى غير قصة الإسراء

وأما قول عائشة ما فقدت جسده. . فعائشة لم تكن حينئذ زَوجة، بل لعلها لم تكن وُلدتْ بعدُ عَلى الخلاف فى الإسراء متى كان ، فإنها كانت فى الهجرة بنت ثمانية أعوام، فإذا لم تشاهد ذلك دَلَّ عَلىَ أنها حدَّثت به عن غيرها، فلم يرجح خبرها، مع قول أم هانئ بخلافه، عَلىَ أنَّ عائشة أنكرتْ أن يكون ﷺ رأى ربَّه، فدلَّ عَلىَ أن الإسراء كان يقظَةً، إذ لو كان مناماً لم تنكره.

*** مذهب آخر:**

وذهب بعضُهم إلى أن الإسراء كان فى اليقظة، والمعراج كان فى المنام، لذلك لما أخبر به قريشاً كذبوه فى الإسراء واستبعدوا وُقوعه، ولم يتعرَّضوا للمعراج، ولأن الإسراء ذكر فى القرآن فى مَعْرض الامتنان، فلو كان متصلاً باليقظة إلى الملأ الأعلى لما اقتصر على قوله: ﴿**إلى المسجد الأقصا**﴾، مع كون شأنه أعجب وأغرب.

*** مذهب آخر:**

وذهب آخرون إلى أن ذلك كله وقع مرّتين، مرَّة فى المنام توطئة وتمهيداً وتسهيلاً عليه؛ كما كان بدءُ نبوته الرُّويا الصادقة ليسهل عليه أمرُ النبوة، ومرّة ثانية فى اليقظة، قالوا: وبذلك يُجمع بين الأحاديث، وممن اختار هذا القول أبو نصر القشيرى، وابن العربى والسُّهَيْلى(١).

وقال النووى: لخّص القاضى عياض رحمه الله فى الإسراء جملاً حسنة فقال: اختلف الناس فى الإسراء برسول الله ﷺ، فقيل: إنما كان جميع ذلك فى المنام والحق الذى عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسرى بجسده ﷺ والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل والاستحالة فى حملها عليه يحتاج إلى تأويل، وقد جاء فى رواية شريك فى هذا الحديث أوهام أنكرها عليه العلماء، وقد نبّه مسلم على ذلك بقوله فقدّم وأخّر وزاد ونقص منها قوله: وذلك قبل أن يوحى

---

(١) «الإسراء والمعراج» للسيوطى (ص ٢٥ ـ ٣٠) باختصار يسير.

إليه. وهو غلط لم يوافق عليه فإن الإسراء أقل ما قيل فيه أنه بعد مبعثهﷺ بخمسة عشر شهراً[١].

وقال الآجرى: بعد أن ذكر بعض الأحاديث الدالة على الإسراء والمعراج قال من ميّز جميع ما تقدم ذِكْرُهُ له علم أن الله عز وجل أسرى بمحمد ﷺ إليه بجسده وعقله، لا أنَّ الإسراء كان مناماً وذلك أن الإنسان لو قال وهو بالمشرق: رأيت البارحة فى النوم كأنى بالمغرب لم يُردَّ عليه قوله ولم يعارض. وإذا قَالَ: كنت ليلتى بالمغرب، لكان قوله كذباً، وكان قد تقَوَّل بعظيم إذا كان مثل ذلك البلد غير واصل إليه فى ليلته لا خلاف فى هذا، فالنبىﷺ لو قال لأبى جهل ولسائر قومه: رأيت فى المنام كأنى ببيت المقدس على وجه المنام لقبلوا منه ذلك ولم يتعجبوا من قوله، ولقالوا له: صدقت.

وذلك أنَّ الإنسان قد يرى فى النوم كأنه فى أبعد مما أخبرنا ولكنه لماقال لهم ﷺ: «**أسرى بى الليلة إلى بيت المقدس**» كان خلافاً للمنام عند القوم وكان هذا فى اليقظة بجسده وعقله، فقالوا له: فى ليلة واحدة ذهبت إلى الشام وأصبحت بين أظهرنا؟ ثم قولهم لأبى بكر رضى الله عنه: هذا صاحبك يزعم أنه أسرِى به الليلة إلى بيت المقدس ثم رجع من ليلته.

وقول أبى بكر رضى الله عنه لهم وما ردّ عليهم، كل هذا دليلٌ لمن عقل وميَّز علم أنَّ الله عز وجل خصَّ نبيه محمداً ﷺ بأنه أسرى به بجسده وعَقْله وشاهَدَ جميع ما فى السماوات ودخوله الجنَّة وجميع ما رأى من آيات ربّه عزّ وجلّ وفرض عليه الصلاة، كلَّ ذلك لا يقَالَ منامٌ بل بجسده وعقله وفضيلةٌ، خصّه الله الكريم بها، فمن زعم أنه منام، فقد أخطأ فى قوله وقصَّر فى حقَّ نبيه ﷺ وردَّ القرآن والسُّنَّة وتعرَّض لعظيم وبالله التوفيق[٢].

قال الدكتور محمد أبو شهبة: جمهور العلماء من السلف والخلف على أنهما ـ أى الإسراء والمعراج ـ كانا فى ليلة واحدة، وأنهما كانا بجسده وروحه ﷺ وهذا

(١) «شرح النووى على صحيح مسلم» (١/٩٠١، ٩٠٢) ط. دار الغد العربى.
(٢) «الشريعة للآجرى» (٢/٢٤٨).

هو الذى يدل عليه قوله تعالى فى مفتتح سورة الإسراء السابقة ﴿بعبده﴾ وليس ذلك إلا الروح والجسد.

وقد تواردت على ذلك الأخبار الصحيحة المتكاثرة والنصوص على ظواهرها ما لم يقم دليل على صرفها عن ظاهرها وأنىّ هو؟.

وفى الأحاديث الصحيحة أنه شق صدره الشريف، وركب البراق وعرج به إلى السماء، ولاقى الأنبياء، وفرضت عليه الصلوات الخمس وأن الله كلّمه، وأنه صار يرجع بين موسى عليه السلام وبين ربه عزوجل، مما يؤكد أنهما كانا بجسده الشريف وروحه، وينفى ما عدا ذلك.

* القائلون بأنهما كانا بالروح:

وذهب بعض أهل العلم إلى أنهما كانا بروحه عليه الصلاة والسلام ونسب القول به إلى السيدة عائشة ومعاوية رضى الله عنهما، وذكروا فى هذا أنه روى عن السيدة عائشة أنها قالت: «ما فَقَدْتُ [(١)] جَسَد رسول الله ﷺ ولَكنْ أُسْرِى برُوحِه»، وهو حديث غير ثابت وهنّه القاضى عياض فى «الشفا» سنداً ومتناً وحكم عليه الحافظ ابن دحية بالوضع.

ومما يضعف هذا الأثر ويرده: أن السيدة عائشة رضى الله عنها لم تكن حينئذ قد دخل بها رسول الله ﷺ؛ فإن من المتفق عليه أن رسول الله ﷺ لم يَبْنِ[(٢)] بها إلا بعد الهجرة، وإن كان خطبها قبلها بسنة وقيل بسنتين.

ومما يردّ ما نُسِبَ إلى عائشة أيضاً: أن الثابت عنها أنها كانت تنكر على من يقول: إن محمداً رأى ربه ليلة المعراج، وتستدل بآيات من الكتاب على حسب اجتهادها وفهمها، فلو كانت ترى هذا الرأى الذى نسبوه إليها زوراً لكان أقرب شىء فى ردها على من يقول بالرؤية أن تحتج عليهم بأن المعراج لم يكن بجسده ولكن لم ينقل عنها أنها احتجت بذلك.

والظاهر أن ما روى عن معاوية رضى الله عنه غير صحيح أيضاً وهو حين الإسراء والمعراج لم يكن أسلم بعد.

(١) روى فقدت مبنياً للمعلوم وروى فقدت مبنياً للمجهول.
(٢) أى لم يدخل بها

ولو سلمنا بما نسب إليهما ـ جدلاً ـ فظواهر القرآن والسنة الصحيحة ترده.

القائلون بأنهما كانا مناماً:

وأبعد من هذا القول قول من ذهب إلى أنهما كانا فى المنام، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ**﴾ (١).

وقالوا: الآية تشير إلى الإسراء والمعراج، والرؤيا إنما تطلق على المنامية لا البصرية، وليس أدل على رد استدلالهم بهذه الآية من قول ابن عباس فى تفسيرها: «هى رؤيا عين أُريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به والشجرة الملعونة شجرة الزَّقُّوم» رواه البخارى فى صحيحه، والترمذى والنسائى فى سننهما .

ومراد ابن عباس برؤيا العين جميع ما عاينه ﷺ ليلة أسرى به من العجائب السماوية والأرضية.

وابن عباس حَبْر الأمة وترجمان القرآن ومن أعلم الناس بالعربية وكان إذا سئل عن لفظ من القرآن ذكر له شاهداً من كلام العرب فكلامه حجة فى هذا فالرؤيا كما تطلق على المنامية تطلق على البصرية أيضاً.

ومن شواهد ذلك من لغة العرب الذين يحتج بكلامهم قول الراعى يصف صائداً:

وَكَبَّرَ لِلرُّؤْيَا وَهَشَّ فُؤَادُهُ ... وبَشَّرَ قَلْبًا كَانَ حَمًّا بَلا بِلُهُ

وأيضاً لو كان فى المنام لم يكن فيها شىء يستعظم ولما بادر كفار قريش إلى تكذيب الرسول ﷺ.

ولما ارتد بعض ضعفاء الإيمان ممن كانوا أسلموا، إذ أن كثير من الناس يرون فى منامهم مثل هذا وأكثر فيرى الرائى أنه ذهب إلى السماء أو إلى أقصى المعمورة

فاستبعادهم لذلك ومسارعتهم إلى تكذيب الرسول عقب إخبارهم من إظهار الأدلة على أنهم فهموا من إخبار النبى ﷺ أنهما كانا فى اليقظة لا فى المنام.

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٦.

الفرق بين كونهما بالروح وكونهما مناماً:

ومما ينبغى أن نعلمه أن بعض الكاتبين فى الإسراء والمعراج يخلط بين قول من يقول:

كانا مناماً، وقول من يقول: كانا بالروح، وبينهما فرق، فمن قال بالروح أراد أن الروح بما لها من قدرة على التصرف والانتقال هى التى انتقلت وجالت فى هذه المعانى المقدسة فى الأرض وفى السماء. وأما من قال فى المنام فإنما أراد حدوث صور انكشافات للروح فيما وراء الحس من عالم الغيب من غير انتقال ومفارقة للبدن.

وقد تنبه إلى هذا الفرق الدقيق العلامة ابن القيم فى كتابه (زاد المعاد) قال: «وقد نقل ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنهما قالا: إنما كان الإسراء بروحه ولم يفقد جسده» ونقل عن الحسن البصرى نحو ذلك.

ومما ينبغى أن نعلمه أن الفرق بين أن يقال كان الإسراء مناماً وبين أن يقال كان بروحه دون جسده وبينهما فرق عظيم، وعائشة ومعاوية لم يقولا: كانا مناماً. وإنما قالا: أسرى بروحه ولم يفقد جسده، وفرق بين الأمرين: فإن ما يراه النائم قد يكون أمثالاً مضروبة للمعلوم فى صورة المحسوس فيرى كأنه قد عرج به إلى السماء، أو ذهب به إلى مكة، وأقطار الأرض، وروحه لم تصعد ولم تذهب وإنما ملك الرؤيا ضرب المثال.

والذين قالوا عرج برسول الله ﷺ طائفتان: طائفة قالت عرج بروحه وبدنه، وطائفة قالت: عرج بروحه، ولم يفقد بدنه [1]، وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان مناماً وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أسرى بها وعرج بها حقيقة، وباشرت من جنس ما تباشر بعد المفارقة، وكان حالها فى ذلك كحالها بعد المفارقة فى صعودها إلى السماوات سماء سماء حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فتقف بين يدى الله عز وجل فيأمر فيها بما يشاء، ثم تنزل إلى الأرض فالذى كان لرسول الله ﷺ فى مقام خرق العوائد حتى شق بطنه وهو حى لا يتألم بذلك عرج بذات روحه

---

(١) وهناك طائفة ثالثة تقول: كان فى المنام كما ذكرنا ورددنا قولهم.

المقدسة من غير إماتة ومن سواه لا ينال بذات روحه الصعود إلى السماء إلا بعد الموت والمفارقة، والأنبياء إنما استقرت أرواحهم هناك بعد مفارقة الأبدان، وروح رسول الله ﷺ صعدت إلى هناك فى حال الحياة ثم عادت، وبعد وفاته استقرت فى الرفيق الأعلى مع أرواح الأنبياء، ومع هذا فلها إشراف على البدن، وإشراق وتعلق به، بحيث يرد السلام على من سلم عليه، وبهذا التعلق رأى موسى قائماً يصلى فى قبره، ورآه فى السماء السادسة، ومعلوم أنه لم يعرج بموسى من قبره ثم رُدّ إليه، وإنما ذلك مقام روحه واستقراره إلى يوم معاد الأرواح إلى أجسادها فرآه يصلى فى قبره ورآه فى السماء السادسة.

كما أنه ﷺ فى أرفع مكان فى الرفيق الأعلى مستقراً هناك وبدنه فى ضريحه غير مفقود، وإذا سلم عليه المسلم ردّ الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام ولم يفارق الملأ الأعلى.

ومن كثف إدراكه، وغلظت طباعه عن إدراك هذا فلينظر إلى الشمس فى علو محلها وحرارتها تؤثر فى الجسم البعيد عنها مع أن الارتباط الذى بين الروح والبدن أقوى وأكمل من ذلك وأتم فشأن الروح أعلى من ذلك وألطف.

وهذا الفصل القيم من النفاسة بمكان آثرت ذكره كله لما فيه من الفوائد الجمة، والإبانة عن مسألة كثيراً ما يسأل الناس عنها وهى تعلق الأرواح بالأجساد[1].

●●●●●

---

(١) «الإسراء والمعراج» الدكتور محمد أبو شهبة ص ٢٧، ٣١.

الإسراج والمعراج والعلم الحديث

الإسراء والمعراج حق أخبر بهما القرآن والسنة، فوجب التصديق بهما، وأنهما من المعجزات، وهما أمران ممكنان للعقل، ومن ادعى استحالتهما فعليه البيان.

إن العلم الحديث يطالعنا الآن باكتشافات جديدة: فالطائرة النفاثة تسبق سرعة الصوت، وأمكن الصعود إلى القمر، إلى غير ذلك من المخترعات؛ فإذا كان الإنسان مع ضعفه قد استطاع أن يقوم بمثل هذه الاختراعات التى جعلت من المسافات البعيدة قريبة ضمن قوانين دقيقة، أفلا يقدر خالق هذا الإنسان والكون أن ينقل رسوله محمداً ﷺ إلى حيث أراد بقدرة فائقة وسرعة عجيبة؟ إنه على كل شيء قدير [(١)].

●●●●●

(١) «رسائل التوجيهات الإسلامية» الشيخ محمد جميل زينو (٢/٤٤٦).

الحوادث التى سبقت الإسراج والمعراج

إن القارئ لسيرة الرسول الكريم ﷺ يرى أن حادثة الإسراء والمعراج قد سبقتها أحوال قاسية، وحوادث أليمة، أحاطت بالرسول من كل جانب واعترضت سبيل دعوته وسببت له مشاكل كثيرة، لو حصلت لغيره من الدعاة والمصلحين لأوهنت قواهم وأعاقتهم عن دعوتهم، ولكن ما فى الرسول ﷺ من شجاعة وصبر، وإيمان بصدق دعوته جعله يستهين بكل ما يحصل له ويعترض طريقه، ولعل فى هذا درساً عملياً مفيداً للدعاة والمصلحين من حملة رسالته ليقتدوا به، ويستهينوا بالصعاب التى تعترض سبيلهم.

وأهم هذه الحوادث الأليمة التى سبقت إسراءه ﷺ ثلاث:

١ـ موت عمه أبى طالب:

لاشك أن أبا طالب كان نصيراً لابن أخيه محمد ﷺ وحامياً له، حيث لم يجرؤ أحد أن يُلحق بالنبى ﷺ أذىً شديداً إلا بعد موت عمه، إذ وجد الكفار فرصة سانحة للاستخفاف بشأنه والإمعان فى إيذائه ﷺ.

٢ـ خروجه إلى الطائف:

لقد ضاق الرسول ﷺ بالمشركين فى مكة ذَرْعاً بعد كل هذا التكذيب والإيذاء الذى صدر منهم له، فكان لابد له من الانتقال إلى بلد آخر لنشر الدعوة فيه.

وخرج الرسول ﷺ إلى الطائف أقرب بلد إلى مكة، وله فيها أقارب وأرحام لعله يستعين بهم على المشركين فى بلده، وعسى أن يجد منهم عطفاً عليه؛ وتصديقاً لدعوته، وتسلية لمصابه، وإكراماً لضيافته؛ ولكن الأمر كان على العكس تماماً؛ إذ ما كاد يعرض الرسول ﷺ عليهم دعوته حتى خفُّوا لتكذيبه وإخراجه من بلدهم، ولم يكتفوا بذلك حتى سلَّطوا عليه عبيدهم وسفهاءهم يقذفونه بالحجارة مما أدمى قدميه، ولم يعد يستطيع متابعة السير عليهما، فجلس قرب بستان لأحد أعدائه؛ وقد أسند ظهره إلى حائط، يمسح الدم بيده بعد أن أنهكه التعب والجوع

والجراح؛ وإذا بملك الجبال يهبط من السماء ويَعْرِض عليه أن يطبق عليهم الجبلين فيهلكهم، فلا يكون جواب الرسول الكريم الرحيم إلا أن يقول:

«بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلابهم مَن يَعبُد الله وحدَه؛ لا يشرك به شيئاً»(١).

جلس الرسول ﷺ يفكر كيف يستطيع أن يدخل مكة بعد هذا كله، فأرسل إلى الأخنس بن شريق أن يدخل مكة فى حمايته وجواره، فأبى، ثم أرسل إلى المطعم بن عدى بطلبه هذا، فرضى، وكان يذكرها له.

٣ـ موت خديجة:

لقد زاد فى مرارة هاتين الحادثتين (موت عمه وخروجه إلى الطائف) موت زوجته الوفية «خديجة» رضى الله عنها التى كانت تخفف آلامه، وتشجعه فى دعوته، وتمده بأموالها؛ فخلا الميدان من العم الشفيق الناصر، وانطفأ سراج البيت بموت الزوج الحبيب المؤنس، فسمى بعضهم ذاك العام «عام الحزن».

بعد كل هذه الحوادث الأليمة، والهزات النفسية التى زادت من هموم الرسول ﷺ وأتعابه، أراد الله أن يكرمه بالإسراء والمعراج ليريه من آياته وليلتقى بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين وجدوا فى دعوتهم من الصعاب مثل ما وجده فى دعوته هاهم الأنبياء يقتدون به فى بيت المقدس، وها هى الملائكة ترحب به فى السماوات وكأنه قيل له.

يامحمد لئن كان يؤذيك شتم السفهاء فى الأرض أما يُرضيك ترحيب الملائكة والمرسلين بك فى السماوات؟

لئن اصطف حولك الجاهلون المجرمون يرشقونك بالحجارة، فهاهم الأنبياء يصطفون خلفك لتؤمهم فى صلاتهم(٢)

●●●●●

---

(١) متفق عليه.

(٢) رسائل التوجيهات الإسلامية (٢/ ٤٤٧، ٤٤٨).

متى كان الإسراء والمعراج؟

قال الحافظ ابن حجر: اختلف فى وقت المعراج فقيل: كان قبل المبعث، وهو شاذ، وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث.

ثم اختلفوا فقيل قبل الهجرة بسنة قاله ابن سعد وغيره وبه جزم النووى، وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع فيه، وهو مردود فإن فى ذلك اختلافاً كثيراً يزيد على عشرة أقوال، منها ما حكاه ابن الجوزى أنه كان قبلها بثمانية أشهر، وقيل بستة أشهر وحكى هذا الثانى أبو الربيع بن سالم، وحكى ابن حزم مقتضى الذى قبله لأنه قال: كان فى رجب سنة اثنتى عشرة من النبوة، وقيل بأحد عشر شهراً جزم به إبراهيم الحربى حيث قال: كان فى ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة، ورجحه ابن المنير فى شرح السيرة لابن عبد البر، وقيل قبل الهجرة بسنة وشهرين حكاه ابن عبد البر وقيل قبلها بسنة وثلاثة أشهر، حكاه ابن فارس، وقيل بسنة وخمسة أشهر قاله السدى وأخرجه من طريقه والطبرى والبيهقى، فعلى هذا كان فى شوال، أو فى رمضان على إلغاء الكسرين منه ومن ربيع الأول وبه جزم الواقدى، وعلى ظاهره ينطبق ما ذكره ابن قتيبة وحكاه ابن عبد البر أنه كان قبلها بثمانية عشر شهراً، وعند ابن سعد عن ابن أبى سبرة أنه كان فى رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً، وقيل كان فى رجب حكاه ابن عبد البر وجزم به النووى فى الروضة، وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين حكاه ابن الأثير، وحكى عياض وتبعه القرطبى والنووى عن الزهرى أنه كان قبل الهجرة بخمس سنين ورجحه عياض ومن تبعه واحتج بأنه لا خلاف أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة إما بثلاث أو نحوها وإما بخمس، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء.

قلت: فى جميع مانفاه من الخلاف نظر.

أما أولاً: فإن العسكرى حكى أنها ماتت قبل الهجرة بسبع سنين وقيل بأربع، وعن ابن الأعرابى أنها ماتت عام الهجرة.

وأما ثانياً: فإن فرض الصلاة اختلف فيه فقيل كان من أول البعثة وكان ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى، وإنما الذى فرض ليلة الإسراء الصلوات الخمس.

وأما ثالثاً: فقد تقدم فى ترجمة خديجة فى الكلام على حديث عائشة فى بدء الخلق أن عائشة جزمت بأن خديجة ماتت قبل أن تفرض الصلاة، فالمعتمد أن مراد من قال بعد أن فرضت الصلاة ما فرض قبل الصلوات الخمس. إن ثبت ذلك، ومراد عائشة بقولها ماتت قبل أن تفرض الصلاة أى الخمس، فيجمع بين القولين بذلك، ويلزم منه أنها ماتت قبل الإسراء.

وأما رابعاً: ففى سنة موت خديجه اختلاف آخر، فحكى العسكرى عن الزهرى أنها ماتت لسبع مضين من البعثة، وظاهره أن ذلك قبل الهجرة بست سنين، فرَّعه العسكرى على قول من قال إن المدة بين البعثة والهجرة كانت عشراً[1].

وقال النووى: أقل ما قيل فيه أنه كان بعد مبعثه ﷺ بخمسة عشر شهراً.

وقال الحربى كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة.

وقال الزهرى: كان ذلك بعد مبعثه ﷺ بخمس سنين.

وقال ابن إسحاق أسرى به ﷺ وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل.

وأشبه هذه الأقوال قول الزهرى وابن إسحاق، إذ لم يختلفوا أن خديجة رضى الله عنها صلت معه ﷺ بعد فرض الصلاة عليه ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة بمدة قيل بثلاث سنين وقيل بخمس، ومنها أن العلماء مجمعون على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء فكيف يكون هذا قبل أن يوحى إليه[2].

---

(١) «فتح البارى» (٧/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).

(٢) أجاب الحافظ ابن حجر على هذا الإشكال كما سبق.

وأما قوله فى رواية شريك وهو نائم وفى الرواية الأخرى «**بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان**» فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه إذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك إليه وليس فى الحديث ما يدل على كونه نائماً فى القصة كلها، هذا كلام القاضى رحمه الله وهذا الذى قاله فى رواية شريك وأن أهّل العلم أنكروها قد قاله غيره.

وقد ذكر البخارى رحمه الله رواية شريك هذه عن أنس فى كتاب التوحيد من صحيحه، أتى بالحديث مطولاً.

قال الحافظ عبد الحق رحمه الله فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية بهذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبى نمر، عن أنس وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث.

قال: والأحاديث التى تقدمت قبل هذا هى المعول عليها هذا كلام الحافظ عبد الحق رحمه الله[1].

قال ابن القيم: قال موسى بن عُقبة عن الزهرى: عُرِجَ بُروحِ رسولِ الله ﷺ إلى بيتِ المقدس وإلى السماء قبلَ خروجه إلى المدينة بسنة. وقال ابن عبد البر وغيره كان بين الإسراء والهجرة سنة وشهران انتهى.

وكان الإسراءُ مرَّةً واحدة. وقيل: مَرَّتين: مرة يقظةً، ومرة مناماً، وأَربابُ هذا القول كأنَّهُم أرادوا أن يجمعوا بين حديثِ شريك، وقوله: «**ثم استيقظت**»، وبين سائرِ الرواياتِ، ومنهم مَنْ قال: بل كان هذا مرتين، مرة قبل الوحى لقوله فى حديث شريك: «وذلك قبل أن يُوحى إليه» ومرة بعد الوحى، كما دلت عليه سائر الأحاديث، ومنهم من قال: بل ثلاثُ مرات: مرة قبل الوحى، ومرَّتين بعده،

(١) «شرح النووى على صحيح مسلم» (١/٩٠٢، ٩٠٦)..

وكل هذا خبط، وهذه طريقةُ ضعفاء الظاهرية مِنْ أرباب النَّقْلِ الذين إذا رأوا فى القصة لفظة تُخالفُ سياَق بعضِ الروايات، جعلُوه مرة أخرى، فكلما اختلفت عليهم الرواياتُ، عدُّوا الوقائع، والصوابُ الذى عليه أئمةُ النقل أن الإسراء كان مرةً واحِدةً بمكَّة بعد البِعثة.

ويا عجباً لهؤلاء الذين زعموا أنه مراراً، كيف ساغ لهم أن يظنُّوا أنه فى كل مرة تُفرض عليه الصلاة خمسين، ثم يتردَّد بين ربه وبين موسى حتى تصيرَ خمساً، ثم يقول: «**أمضيتُ فريضتى، وخففتُ عن عبادى**» ثم يعيدها فى المرة الثانية إلى خمسين، ثم يحطها عشراً عشراً. وقد غلَّط الحفاظُ شريكاً فى ألفاظ مِن حديث الإسراء[١] ومسلم أورد المسند منه ثم قال: فقدَّم وأخر وزاد ونقص، ولم يسرد الحديث، فأجاد رحمه الله[٢].

قال الدكتور محمد أبو شهبة: يكاد يجمع العلماء المحققون على أن الإسراء والمعراج كانا بعد البعثة المحمدية وأنهما كانا فى اليقظة لا فى المنام.

وقد تظاهرت على هذا الروايات المتكاثرة فى كتب الحديث المعتمدة المشهورة وكتب السير الموثوق بها.

وما روى من أنهما كانا قبل أن يوحى إليه، أو أنهما كانا مناماً كما فى حديث شريك بن عبد الله [٣] عن أنس فهو غلط من شريك، وقد خالف فيه شريك أصحاب أنس فى إسناده[٤]، ومتنه بالتقديم والتأخير، والزيادة المنكرة، وأشد

---

(١) ومجموع ما انتقد عليه عشرة أشياء: **الأول**: أمكنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى السموات. **الثانى**: كون المعراج قبل البعثة. **الثالث**: كونه مناماً. **الرابع**: مخالفته فى محل سدرة المنتهى. **الخامس**: مخالفته فى النهرين. **السادس**: شق الصدر عند الإسراء. **السابع**: ذكر نهر الكوثر فى السماء الدنيا. **الثامن**: نسبة الدنو والتدلى إلى الله عزوجل **التاسع**: تصريحه بأن امتناعه ﷺ من الرجوع إلى سؤال ربه التخفيف كان عند الخامسة. **العاشر** قوله: فعلاً به إلى الجبار فقال: وهو فى مكانه. وانظر «فتح البارى» ١٣/ ٤٠٤، ٤٠٥.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٤١، ٤٢) ط مؤسسة الرسالة.

(٣) شريك بن عبد الله بن أبى نمر تابعى مدنى وهو أكبر من شريك ابن عبد الله النخعى القاضى.

(٤) يعنى أصحابه الذين رووا عنه.

أوهامه ـ أغلاطه ـ قوله: سمعت أنس بن مالك يقول: ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أن جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه.

والإمام البخارى قد أخرج فى صحيحه الرواية الصحيحة عن أنس فى عدة مواضع من كتابه، وذكر أيضاً هذه الرواية التى وقع فيها الغلط، ولعل ذلك لينبهنا إلى ما فيها من غلط، وللإمام البخارى فى سوق الروايات والمتون المكررة شفوف نظر، ومقاصد دقيقة لا يقف عليها إلا من أطال النظر فى هذا الكتاب الجليل.

وقد نَّبه علىٰ غلط شريك بن عبد الله فى روايته الإمام مسلم بن الحجاج فى صحيحه فقد قال بعد ذكر سند رواية شريك: «وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البنانى، وقدم فيه شيئاً وأخر ،وزاد ونقص».

وأنكر ما فى حديث شريك من أوهام أيضاً الأئمة: الخطابى، وابن حزم، والقاضى عياض، والنووى وغيرهم.

وقد اختلف فى أى سنة كانا؟ وفى أى شهر؟

قال البعض إنهما كانا قبل الهجرة بسنة وإلى هذا ذهب الزهرى وعروة بن الزبير، وابن سعد، وادعى ابن حزم الإجماع على هذا.

وقيل قبل الهجرة بسنتين. وقيل بأكثر من سنتين. والذى عليه الأكثرون والمحققون أنهما كانا فى شهر ربيع الأول وقيل فى شهر ربيع الآخر وقيل فى شهر رجب وهو المشهور بين الناس اليوم والذى تركن إليه النفس بعد البحث والتأمل أنهما كانا فى ربيع الأول فى ليلة الثانى عشر منه أو السابع عشر منه[1].

وقال ابن كثير: «روى البيهقى من طريقه موسى بن عقبة عن الزهرى أنه قال: أسرى برسول الله ﷺ قبل خروجه إلى المدينة بسنة، قال: وكذلك ذكره ابن لهيعة عن الأسود عن عروة، ثم روى الحاكم عن إسماعيل السدى، أنه قال: فرض على رسول الله ﷺ الخمس ببيت المقدس ليلة أسرى به قبل مهاجره بستة عشر شهراً،

(١) «الإسراء والمعراج» الدكتور محمد أبو شهبة (ص٣٤ـ ٣٦). باختصار يسير.

فعلى قول السدى يكون الإسراء فى شهر ذى القعدة، وعلى قول الزهرى وعروة يكون فى ربيع الأول، وقال أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عثمان عن سعيد بن مينا عن جابر وابن عباس قالا: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الإثنين الثانى عشر من ربيع الأول، وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات «فيه انقطاع[1] وقد اختاره الحافظ عبد الغنى بن سرور المقدسى فى سيرته، وقد أورد حديثاً لا يصح سنده كما ذكرنا فى فضائل شهر رجب أن الإسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب، والله أعلم، ومن الناس من يزعم أن الإسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب وهى ليلة الرغائب التى أحدثت فيها الصلاة المشهورة ولا أصل لذلك والله أعلم [2].

قال ابن رجب الحنبلى: «روى بإسناد لا يصح عن القاسم بن محمد أن الإسراء بالنبى ﷺ كان فى سابع عشرين من رجب».

وأنكر ذلك إبراهيم الحربى وغيره [3].

قلت: ومما سبق تبين أن تاريخ الإسراء والمعراج غير معلوم على وجه التحديد والقطع، ولله الحكمة فى إخفاء هذا اليوم على الناس.

وأما ما يفعله كثير من الناس اليوم من الاحتفال بليلة السابع والعشرين من رجب على أنها هى ليلة الإسراء والمعراج فلا مستند لهم فى ذلك وليس معهم دليل من الكتاب أو السنة على أن الإسراء والمعراج كانا فى ليلة السابع والعشرين من رجب

والحديث الذى يحدد أن الإسراء والمعراج كانا فى السابع والعشرين من رجب حديث ضعيف كما قال الحافظ ابن كثير وابن رجب الحنبلى.

ولو افترضنا جدلاً أن هذه الليلة هى ليلة الإسراء والمعراج، فأين الدليل على شرعية هذه الاحتفالات، حيث تقام السرادقات أو تُلقى الحكايات [4] فهل كان

---

(١) أى سند هذا الأثر ضعيف.

(٢) «البداية والنهاية »الحافظ ابن كثير (٣/١٠٨ ـ ١٠٩) باختصار يسير.

(٣) « لطائف المعارف» (١/ ١٩٩).

أصحاب الرسول ﷺ يفعلون ذلك؟ وهل كان التابعون من بعدهم يفعلون ذلك؟ وهل كان الأئمة الأربعة يفعلون ذلك؟ .

وقد سئل الإمام تقى الدين أحمد بن تيمية رضى الله عنه ،عن رجل قال: ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر، وقال آخر: بل ليلة القدر أفضل ، فأيهما المصيب؟

فأجاب : أما القائل بأن ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر، إن أراد به أن تكون الليلة التى أسرى فيها بالنبى ﷺ ونظائرها من كل عام أفضل لأمة محمد ﷺ من ليلة القدر، بحيث يكون قيامها والدعاء فيها أفضل منه فى ليلة القدر. فهذا باطل لم يفعله أحد من المسلمين، وهو معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام. هذا إذا كانت ليلة الإسراء يعرف عينها. فكيف ولم يقم دليل معلوم لا على شهرها ولا على عينها؟ بل النقول فى ذلك منقطعة مختلفة، ليس فيها ما يقطع به، ولا شرع للمسلمين تخصيص الليلة، التى يظن أنها ليلة الإسراء، بقيام ولا غيره، بخلاف ليلة القدر فإنه قد ثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال : «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» وفى الصحيحين عنه : «**تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان**» وقد أخبر سبحانه أنها خير من ألف شهر. فإنه نزل فيها القرآن.

وإن أراد الليلة المعينة التى أسرى فيها بالنبى ﷺ، وجعل فيها ما لا يحصل

---

(١) ومن العجيب أن أغلب هذه الحكايات التى تلقى فى هذه المناسبة مأخوذة من قصة الإسراء والمعراج المنسوبة لابن عباس رضى الله عنه وهى قصة مكذوبة مختلقة على ابن عباس رضى الله عنهما، فهى مليئة بالأباطيل والأضاليل ولم يصح منها إلا أحرف قليلة «وقد شاء ذاك الذى فعل فعلته الشنيعة هذه أن يلصق هذه الأكاذيب بابن عباس رضى الله عنهما. وقد علم كل مثقف بل كل إنسان عاقل أن ابن عباس برىء منه. وأنه لم يؤلف أى كتاب فى معراج الرسول ﷺ، بل وما ظهرت حركة التأليف إلا فى أواخر عهد الأمويين ولما وقف دعاة السوء على هذا الكتاب ووجدوا فيه من الأكاذيب المنسوبة إلى رسول الله ﷺ ما يكفل زعزعة إيمان الكثيرين من الناس، راحوا يروجون له ويدعون إليه ،وكان فى جملة من كتب عنه مادحاً ومعظماً الدكتور لويس عوض وما أدراك من هو لويس عوض، مع أنهم يعلمون قبل سائر الناس أنه كتاب مكذوب على ابن عباس وأن أحاديثه كلها باطلة. ولكن الكذب سرعان ما ينقلب عندهم صحيحاً إذا كان فيه ما يشوش أفكار المسلمين ويلبس عليهم دينهم» أ هـ «فقه السيرة» للبوطى ص ١٥٤، ١٥٥.

فى غيرها، من غير أن يشرع تخصيصها بقيام ولا عبادة، فهذا صحيح. وليس إذا أعطى الله نبيه ﷺ فضيلة فى مكان أو زمان، يجب أن يكون ذلك الزمان والمكان أفضل من جميع الأمكنة والأزمنة. هذا إذا قدِّر أنه قام دليل على أن إنعام الله تعالى على نبيه ليلة الإسراء كان أعظم من إنعامه عليه بإنزال القرآن ليلة القدر، وغير ذلك من النعم التى أنعم بها عليه. والكلام فى مثل هذا يحتاج إلى علم بحقائق الأمور ومقادير النعم التى لا تعرف إلا بوحى. ولا يجوز لأحد أن يتكلم فيها بلا علم.

ولا يعرف عن أحد من المسلمين أنه نقل أن لليلة الإسراء فضيلة على غيرها لاسيما على ليلة القدر ولا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور ولايذكرونها. ولهذا لا يعرف أى ليلة كانت. وإن كان الإسراء من أعظم فضائله ﷺ.

ومع هذا فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان ولا ذلك المكان بعبادة شرعية. بل غار حراء الذى ابتدئ فيه بنزول الوحى، وكان يتحراه قبل النبوة، لم يقصده هو ولا أحد من أصحابه بعد النبوة، مدة مقامه بمكة ولا خص اليوم الذى أنزل فيه الوحى بعبادة ولا غيرها. ولاخص المكان الذى ابتدئ فيه الوحي ولا الزمان بشىء... ومن خصّ الأمكنة والأزمنة من عنده بعبادات، لأجل هذا وأمثاله، كان من جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمان أحوال المسيح مراسم وعبادات. كيوم الميلاد ويوم التعميد وغير ذلك من أحواله. وقد رأى عمر بن الخطاب جماعة يتبادلون مكاناً يصلون فيه. فقال: ما هذا؟ قالوا: مكان صلى فيه رسول الله ﷺ.

فقال أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا. فمن أدركته فيه الصلاة فليصل، وإلا فليمض. وقد قال بعض الناس: إن ليلة الإسراء فى حق النبى ﷺ أفضل من ليلة القدر وليلة القدر بالنسبة إلى الأمة أفضل من ليلة الإسراء فهذه الليلة فى حق الأمة أفضل لهم. وليلة الإسراء فى حق رسول الله ﷺ أفضل له انتهى[1].

●●●●●

---

(١) نقلاً عن «محاسن التأويل» للقاسمي (١٠/ ٣٨٩٦ ـ ٣٨٩٨).

أدلة الإسراء والمعراج
من الكتاب والسنة
أولاً: أدلة القرآن

قال الله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

وأما الآيات التي تشير إلى واقعة المعراج، فهى قول الله تعالى فى سورة النجم ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١ـ١٨].

وقد بوّب الإمام البيهقى على هذه الآيات بقوله: باب الدليل على أن النبى ﷺعُرِجَ به إلى السماء فرأى جبريل عليه السلام فى صورته عند سدرة المنتهى وقبل ذلك كان قد رأى جبريل عليه السلام فى صورته وهو بالأفق الأعلى[1].

●●●●●

(١) «دلائل النبوة» للبيهقى (٢/ ٣٦٦).

ثانياً :أدلة السنة

الحديث الأول

عَنْ أَنَس بَنْ مَالك رضى الله عنه؛ أَنَّ رَسْولَ الله ﷺ قَال: «أُتيتُ بالبُرَاق وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَض طَويلٌ فَوْقُ الحمَار وَدُونَ البَغْلِ يَضَعُ حَافرهُ عنْد مُنْتَهَى طَرفه قَال فَرَكبْتُهُ حَتَّى أَتيتُ بَيْتَ المَقْدس قَالَ:، فَرَبَطْتُهُ بالحلقَةَ الَّتى يَرْبطُ بَه الأَنْبيَاء قَال ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجدَ فَصلَّيْتُ فيه رَكْعَتَيْن. ثُمَّ خَرَجْتُ. فَجَاءَنى جبْريلُ عَلَيْه السَّلاَمُ بإنَاء منْ خَمْرٍ وإنَاء منْ لَبَنِ فاَخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جبْريلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الفطْرَةَ.

ثَمَّ عَرَجَ بنَا إلَى السَّمَاء. فَاسْتَفْتَحَ جبْريلُ فَقيلَ: مَن أَنْت؟ قَالَ: جبْريلُ. قيَل: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قيلَ: وَقَدْ بُعثَ إليْه؟ قَالَ: قَدْ بعثَ إلَيْه. فَفُتحَ لنَا. فإذَا أَنَا بآدمَ. فَرَحَّبَ بي وَدَعَا لى بخَيْر.، ثُمَّ عَرَجَ بنَا إلى السَّمَاء الثَّانية. فَاسْتَفْتَحَ جبْريلُ عَلَيْه السَّلاَمُ. فَقيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ جبْريلُ قيل: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَال. مُحَمَّدٌ. قيل وَقَدْ بُعثَ إلَيْه؟ قَالَ: قَدْ بُعثُ إلَيْه. فَفُتحَ لَنَا فَإذَا أَنَا با بْنَى الخَالَة عيَسى ابْنِ مرْيَمَ ويَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا صَلَوَاتُ الله عَلَيْهما. فَرَحَّبًا وَدَعَوَا لى بخَيْر.

ثُمَّ عَرَجَ بى إلَى السَّمَاء الثَّالثَة. فَاسْتَفَتَحَ جبرْيلُ. فَقَيل: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جبرْيلُ. قَيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قيلَ: وَقَدْ بُعثَ إلَيْه؟ قَالَ: قَدْ بُعثَ إلَيْه. فَفُتحَ لنَا فَإذَا أَنَا بيُوسُفَ ﷺ وإذَا هُوَ قَدْ أُعْطىَ شَطرَ الحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لى بخَيْر.

ثُمَّ عَرجَ بنَا إلَى السَّمَاء الرَّابعَة، فَاسْتَفْتَحَ جبْريلُ عَلَيْه السَّلاَمُ قيلَ: مَنْ هَذَا؟

قَالَ: جبْريلُ. قيلَ: ومَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ بُعثَ إلَيْه؟ قال: قد بُعثَ إلَيْه فَفُتحَ لَنَا فَإذَا أَنَا بإدْريسَ. فَرَحَّبَ وَدَعَا لي بخَيْرٍ. قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاه مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم/ آية ٥٧].

ثُمَّ عَرَجَ بنَا إلَى السَّمَاء الخَامسَة. فَاسْتَفْتَحَ جبريلُ فقيل مَنْ أنت؟

قَالَ: جبْرَيلُ قيلَ:وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قيلَ:وقَدْ بُعثَ إلَيْه؟ قَالَ: قَدْ بُعثَ إلَيْه. فَفُتحَ لَنَا . فَإذَا أَنَا بهَارُونَ ﷺ. فَرَحَّبَ وَدَعَا لى.بخَيْر.

ثُمَّ عَرَجَ بنَا إلى السَّماء السَّادسَة. فَاسْتَفْتَحَ جبْرَيلُ عَلَيْه السَّلاَمُ. قيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جبْرَيلُ. قيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قيَل: وَقَدْ بُعثَ إلَيْه. قال: قد بعث إليه فَفُتحَ لَنَا فَإذَا أَنَا بمُوسَى ﷺ. فَرَحَّبَ وَدَعَا لي بخَيْر.

ثُمَّ عَرَجَ بنا إلَى السَّمَاء السَّابعَة. فَاسْتَفْتَحَ جبْريلُ. فَقيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جبْريلُ. قيَل: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ: قيلَ: وَقَدْ بُعثَ إلَيْه؟ قَالَ: قَدْ بُعثَ إلَيْه فَفُتحَ لَنَا فإذَا أَنَا بإبْرَاهيمَ ﷺ، مُسْنداً ظَهْرَهُ إلىَ البَيْت المَعْمُور وَإذا هوَ يَدخلهُ كلَّ يَوْمٍ سبْعُونَ ألفَ مَلَك لا يعُودُون إلَيْه.

ثُمَّ ذَهَبَ بى إلىَ سدْرَة المُنتهى.

وَإذَا وَرقُهَا كآذان الفيلَة، وإذَا ثَمَرُهَا كَالقلاَل قَالَ، فَلَماَّ غَشيَهَا منْ أَمر الله مَا غَشىَ تَغيرَّت، فَمَا أَحدٌ منْ خَلْقَ الله يَسْتَطيعُ أَنْ يَنعَتَهَا منْ حُسْنهَا.

فَأَوْحَى الله إلىَّ مَا أوحَى. فَفَرضَ عَلى خمسين صلاة فى كل يوم وليلة.

فنزلت إلى موسى ﷺ فقال:مافرض ربُّكَ علىَّ أُمَّتك؟ قُلْتُ:خمسينَ صَلاَةً.

قَالَ: ارْجِعَ إلىَ ربِّكَ. فَاسْأَلْهُ التَّخفيفَ. فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطيقُونَ ذَلكَ.

فَإِنِّى قَدْ بَلَوْتُ بَنِى إِسرائيل وَخَبرتهُمْ.

قَالَ، فَرَجَعْتُ إلىَ رَبِّى فَقُلْتُ:

يَارَبِّ! خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِى. فَحطَّ عَنِّى خَمْساً. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لايُطِيقُونَ ذَلكَ.

فَارْجِعَ إلىَ ربِّكَ. فَاسْأَلْهُ التَّخفيفَ. قَالَ، فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّى تَبَاركَ وَتَعَالىَ وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُنَّ خَمْسٌ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَة. لِكُلِّ صَلاَة عَشْرٌ. فذَلكَ خَمْسُون صَلاَةَ وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنة فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتبت له حسنة فإن عملها كتبت لَهُ عَشْراً. وَمَنْ هَمَّ بسيئة فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شيْئاً.. فَإِنْ عَمِلَهَا كُتبَتْ سيِّئَةً واحدَةً.

قَالَ: فَنَزَلْتَ حَتَّى انْتَهيْتُ إِلَى مُوَسى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجعْ إِلَى ربِّكَ فَسْأَلْهُ التَّخْفيفَ فقال رَسُولُ الله ﷺ فقُلْتُ: قَدْ رَجَعْت إِلَى رَبِّى حَتَّى استَحْيَيْت منْهُ»[1].

قال النووى: البراق اسم الدابة التى ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء..

قال ابن دريد: اشتقاق البراق من البرق لسرعته وقيل سمى بذلك لشدة صفائه وتلألئه وبريقه وقيل: لكونه أبيض.

وقال القاضى: يحتمل أنه سمى بذلك لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء إذا كان فى خلال صوفها الأبيض طاقات سود قال ووصف فى الحديث بأنه أبيض وقد يكون من نوع الشاة البرقاء وهى معدودة فى البيض والله أعلم.

قوله ﷺ: «**فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى تربط به الأنبياء صلوات الله عليهم**».

---

(١) رواه مسلم (٤٠٤) كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، وفرض الصلوات.

قال الزجاج: البيت المقدس المطهر وبيت المقدس أى المكان الذى يطهر فيه من الذنوب، ويقال فيه أيضاً: إيلياء والله أعلم.

وقال صاحب التحرير: المراد حلقة باب مسجد بيت المقدس والله أعلم.

وفى ربط البراق الأخذ بالاحتياط فى الأمور وتعاطى الأسباب وأن ذلك لا يقدح فى التوكل إذا كان الاعتماد على الله تعالى والله أعلم.

قوله ﷺ: «**فجاءنى جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة**» المراد أنه ﷺ قيل له اختر أى الإناءين شئت كما جاء مبيناً من رواية أبى هريرة فأُلْهِمَ ﷺ اختيار اللبن.

وقوله: «**اخترت الفطرة**» فسروا الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة ومعناه والله أعلم اخترت علامة الإسلام والاستقامة وجعل اللبن علامة لكونه سهلاً طيباً طاهراً سائغاً للشاربين سليم العاقبة.

وأما الخمر فإنها أم الخبائث وجالبة لأنواع من الشر فى الحال والمآل والله أعلم.

قوله ﷺ: «**ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل له من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال بعث إليه**».

أما قوله: عرج أى صعد وقوله جبريل فيه بيان الأدب فيمن استأذن بدق الباب ونحوه فإذا قيل له من أنت فينبغى أن يقول زيدٌ مثلاً إذا كان إسمه زيداً ولا يقول أنا فقد جاء الحديث بالنهى عنه لأنه لافائدة فيه.

وأما قول بوّاب السماء قد بعث إليه فمراده قد بعث إليه للإسراء وصعود السموات وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فإن ذلك لا يخفى عليه إلى هذه المدة فهذا هو الصحيح والله أعلم.

قال القاضى: وفي هذا أن للسماء أبواباً حقيقة وحَفَظَةً موكلين بها، وفيه إثبات الاستئذان والله أعلم.

قوله ﷺ: «**فإذا أنا بآدم ﷺ فرحب بى ودعا لى بخير**» ثم قال ﷺ فى السماء

الثانية: «**فإذا أنا بابنى الخالة فرحبا بى ودعوا**» وذكر ﷺ فى باقى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم نحوه.

فيه استحباب لقاء أهل الفضل بالبشر والترحيب والكلام الحسن والدعاء لهم وإن كانوا أفضل من الداعى وفيه جواز مدح الإنسان فى وجهه إذا أمن عليه الإعجاب وغيره من أسباب الفتنة.

وقوله ﷺ: «**فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور**» قال القاضى رحمه الله: يستدل به على جواز الاستناد إلى القبلة وتحويل الظهر إليها.

قوله ﷺ: «**ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى**» قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم: سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهى إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ، وحكى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنها سميت بذلك لكونها ينتهى إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى.

قوله ﷺ: «**وإذا ثمرها كالقلال**» جمع قلة والقلة جرة عظيمة تسع قربتين أو أكثر.

قوله ﷺ: «**فرجعت إلى ربى**» معناه رجعت إلى الموضع الذى ناجيته منه أولاً فناجيته فيه ثانياً.

وقوله ﷺ: «**فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى ﷺ**» معناه بين موضع مناجاة ربى والله أعلم [1].

●●●●●

---

(١) «شرح النووى على صحيح مسلم» (١/٩٠٦، ٩١٠) ط. دار الغد العربى باختصار يسير.

الحديث الثانى

عن أَنَسِ بنِ مالك رضى الله عنه قال: كان أبو ذَرٍّ يُحدِّثُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «فُرِجَ عنْ سَقف بيتى وأنا بمكةَ، فنزلَ جبريلُ فَفرَجَ صَدرى، ثمَّ غَسلهُ بماء زَمْزَمَ، ثمَّ جاءَ بطَسَت من ذهَب مُمتلىء حكمةً وإيماناً فأفرَغَهُ فى صَدرى ثمَّ أطبقهُ، ثمَّ أخذَ بيَدى فَعَرَجَ بى إلى السّماء الدُّنيا، فلمّا جئتُ إلى السّماء الدُّنيا قال جبريلُ لخازنِ السّماء: افتَحْ. قال: مَن هذا؟ قال: هذا جبريلٌ. قال: هَل مَعكَ أحدٌ؟قال: نعم،معى محمدٌ ﷺ. فقال: أُرسلَ إليه؟ قال: نعم. فلما فتحَ علَونا السماءَ الدُّنيا، فإذا رجُلٌ قَاعدٌ علَى يَمينه أَسْودَةٌ وعلى يسارهِ أَسودةٌ، إذا نَظَرَ قَبَلَ يَمينَه ضحكَ، وإذا نظرَ قبَلَ يَساره بكى، فقال: مَرحبًا بالنّبىِّ الصّالح والابنِ الصّالحِ. قلتّ لجبَريلَ: مَن هذا؟ قال: هذا آدمُ. وهذهِ النار فإذا نظرَ عنِ يَمينه ضَحكَ، وإذا نظرَ قَبَلَ شماله بكى.

حتّى عرَجَ بى إلى السماء الثانيةِ فقال لخازنِها: افتحْ. فقال له خازنُها مثلَ ما قالَ الأوَّلُ، ففتحَ».

قال أنسٌ: فذَكر أنّه وَجدَ فى السماوات آدمَ وإدريسَ وموسى وعيسى وإبراهيم صَلَواتُ الله عليهم. ولم يُثبتْ كيفَ مَنازِلُهم غيرَ أنه ذكرَ أنه وَجَد آدمَ فى السماء الدُّنيا، وإبراهيمَ فى السماء السادسة.

قال أَنَسٌ: فلمَّا مَرَّ جبريلُ بالنَّبىِّ ﷺ بإدْرِيسَ قال«مَرحباً بالنَّبىِّ الصالح والأخِ الصَّالح. قلتُ: منْ هذا؟ قال هذا إدريسُ».

ثمَّ مَرَرتُ بموسى فقال: مَرحباً بالنَّبىِّ الصَّالحِ والأخِ الصّالحِ. قلتُ: منَ هذا؟ قال: هذا موسى.

ثمَّ مَرَرت بعيسى فقال: مَرحباً بالنَّبىِّ الصَّالحِ والأخِ الصّالحِ. قلتُ: منَ هذا؟

قال: هذا .عيسى.

ثمَّ مَرَرت بإبراهيم فقال: مَرحباً بالنَّبىِّ الصَّالحِ والأخِ الصّالحِ. قلتُ: منَ هذا؟ قال: هذا إبراهيمﷺ».

قال ابن شهاب فأخبرنى ابنُ حَزم أَنَّ ابنَ عَباسٍ وأبا حَبَّةَ الأنصارىَّ كانا يقولانِ: قال النَّبىُّ ﷺ **«ثمَّ عُرجَ بى حتَّى ظَهَرْتُ لمُستَوىَ أسَمعُ فيه صَريفَ الأقلام».**

قال ابنُ حزمٍ وأنسُ بنُ مالك: قال النَّبىُّ ﷺ **«ففَرَضَ اللهُ على أُمَّتى خَمسين صلاةَ، فرجَعْتُ بذلك حتى مَرَرْتُ على موسى فقال: ما فرَضَ اللهُ لكَ على أُمَّتكَ؟ قلتُ: فرَضَ خَمسينَ صلاةً. قال: فارجعْ إلى ربِّكَ، فإنَّ أُمَّتَكَ لا تُطيقُ ذلكَ. فراجعنى فوَضعَ شَطرَها. فرجَعتُ إلى موسى قلتُ: وَضعَ شَطَرها. فقال: راجِعْ ربَّكَ. فإنَّ أُمَّتَكَ لا تُطيقُ. فراجعت فوضَعَ شَطَرها. فَرجَعتُ إليه فقال: ارجع إلى ربَّكَ. فإنَّ أُمتَكَ لا تُطيقُ. فراجعته فقال: هى خمسٌ وهىَ خمسون، لا يُبَدَّلُ القولُ لدىَّ. فرجَعتُ إلى موسى فقال: راجعْ ربَّكَ. فقلتُ:استحييتُ من ربِّى. ثمّ انطلق بى حتى انتهى بى إلى سدْرَةَ المُنْتَهى، وَغَشيَها أَلوانٌ لا أدرى ما هىَ.**

ثمَّ أُدخلتُ الجَنَّةَ، فإذا فيها حبايلُ اللؤلؤ، وإذا تُرابُها المسْكُ»[1].

قال الحافظ ابن حجر: قوله «فرج» أى فتح والحكمة فيه أن الملك انصب إليه من السماء انصبابة واحدة ولم يعرج على شيء سواه مبالغة فى المناجاة وتنبيهاً على أن الطلب وقع على غير ميعاد، ويحتمل أنه يكون السر فى ذلك التمهيد لما وقع من شق صدره، فكأن الملك أراه بانفراج السقف والتئامه فى الحال كيفية ما سيصنع به لطفاً به وتثبيتاً له، والله أعلم.

---

(١) رواه البخارى فى الصلاة (٣٤٩) باب «كيف فرضت الصلوات فى الإسراء»: (٤٥٨)، وفى الأنبياء (٣٣٤٢) باب «ذكر إدريس عليه السلام» ومسلم (٤٠٨) كتاب الإيمان ، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

قوله (ففرج صدرى) أى شقه، ورجح عياض أن شق الصدر كان وهو صغير عند مرضعته حليمة، وتعقبه السهيلى بأن ذلك وقع مرتين وهو الصواب[1] . . ومحصله أن الشق الأول كان لاستعداده لنزع العلقة التى قيل له عندها هذا حظ الشيطان منك. والشق الثانى كان لإستعداده للتلقى الحاصل له فى تلك الليلة.

قوله «**ثم جاء بطست**» إناء معروف. . وخص بذلك لأنه آلة الغسل عرفاً وكان من ذهب لأنه أعلى أوانى الجنة، وقد أبعد من استدل به على جواز تحلية المصحف وغيره بالذهب لأن المستعمل له الملك، فيحتاج إلى ثبوت كونهم مكلفين بماكلفنا به، ووراء ذلك كان على أصل الإباحة لأن تحريم الذهب إنما وقع بالمدينة. . قوله «ممتلىء حكمة وإيمانا» والمعنى أن الطست جعل فيها شىء يحصل به كمال الإيمان. والحكمة فسمى حكمة وإيماناً، أو مثلا له بناء على جواز تمثيل المعانى كما يمثل الموت كبشاً،

قال النووى: فى تفسير الحكمة أقوال كثيرة صفا لنا منها أن الحكمة العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده، والحكيم من حاز ذلك.

وقد تطلق الحكمة على القرآن وهو مشتمل على ذلك كله، وعلى النبوة كذلك، وقد تطلق على العلم فقط، وعلى المعرفة فقط ونحو ذلك. . .

قوله «فعرج» أى الملك «بى». .

قوله «افتح» يدل على أن الباب كان مغلقاً. قال ابن المنير حكمته التحقق أن

---

(١) كانت المرة الأولى التى شُق فيها صدره ﷺ وهو عند مرضعته حليمة، فعن أَنَس بْن مَالكَ رضى الله عنه: أنّ رَسُولَ الله ﷺ أَتَاهُ جبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانَ. فأَخذَهُ فَصرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِه، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ. فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَقَالَ: هَذَا حَظ الشَّيْطَانِ منكَ ثُمَّ غَسلهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ. ثُمَّ لأَمَهُ. ثُمَّ أَعَادَهُ فى مكَانِه وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إلى أُمِّه (يَعْنِى ظِئْرَهُ) فَقَالُوا: إنَّ مُحَمَّداً قَدْقُتِلَ. فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقَعُ اللَّوْنِ.

قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنتُ أَرَى أَثَرَ ذَلكَ الْمخيَطِ فِي صَدْرِهِ. رواه مسلم (٤٠٦) كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

السماء لم تفتح إلا من أجله، بخلاف ما لو وجده مفتوحاً.

قوله «**قال جبريل**» فيه من أدب الاستئذان أن المستأذن يسمى نفسه لئلا يلتبس بغيره.

قوله «**أأرسل إليه**» يحتمل أن يكون خفى عليه أصل إرساله لاشتغاله بعبادته، ويحتمل أن يكون استفهم عن الإرسال إليه للعروج إلى السماء وهو الأظهر لقوله «**إليه**» ويؤخذ منه أن رسول الرجل يقوم مقام إذنه، لأن الخازن لم يتوقف عن الفتح له على الوحى إليه بذلك، بل عمل بلازم الإرسال إليه. . .

قوله «أسودة»وهى الأشخاص من كل شىء.

قوله «نسم بنيه» جمع نسمة وهى الروح. . وظاهره أن أرواح بنى آدم من أهل الجنة والنار فى السماء، وهو مُشْكَلٌ.

قال القاضى عياض: قد جاء أن أرواح الكفار فى سجِّين وأن أرواح المؤمنين منعمة فى الجنة، يعنى فكيف تكون مجتمعة فى سماء الدنيا؟ وأجاب بأنه يحتمل أنها تعرض على آدم أوقاتاً فصادف وقت عرضها مرور النبى ﷺ، ويدل ـ على كونهم فى الجنة والنار إنما هو فى أوقات دون أوقات ـ قوله تعالى: ﴿**النار يعرضون عليها غدواً وعشياً**﴾، واعترض بأن أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء كما هو نص القرآن. والجواب عنه ما أبداه هو احتمالا أن الجنة كانت فى جهة يمين آدم والنار فى جهة شماله، وكان يكشف له عنهما، اهـ.

ويحتمل أن يقال: إن النسم المرئية هى التى لم تدخل الأجساد بعد وهى مخلوقة قبل الأجساد ومستقرها عن يمين آدم وشماله. وقد أعلم بما سيصيرون إليه، فلذلك كان يستبشر إذا نظر إلى من عن يمينه ويحزن إذا نظر إلى من عن يساره، بخلاف التى فى الأجساد فليست مرادة قطعاً، وبخلاف التى انتقلت من الأجساد إلى مستقرها من جنة أو نار فليست مرادة أيضاً فيما يظهر وبهذا يندفع الإيراد ويعرف أن قوله «نسم بنيه» عام مخصوص، أو أريد به الخصوص وأما ما أخرجه ابن إسحاق والبيهقى من طريقه فى حديث الإسراء «**فإذا بآدم تعرض عليه**

أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها فى عليين، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها فى سجين» وفى حديث أبى هريرة عند الطبرانى والبزار «فإذا عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة، إذا نظر عن يمينه استبشر، وإذا نظر عن شماله حزن» فهذا لو صح لكان المصير إليه أولى من جميع ما تقدم، ولكن سنده ضعيف.

قوله «وإبراهيم فى السماء السادسة» هو موافق لرواية شريك عن أنس، والثابت فى جميع الروايات غير هاتين أنه فى السابعة.. فالأرجح رواية الجماعة لقوله فيها «أنه رآه مسنداً ظهره إلى البيت المعمور» وهو فى السابعة بلا خلاف.

قوله «حتى ظهرت» أى ارتفعت، و «المستوى» المصعد و «صريف الأقلام» بفتح الصاد المهملة تصويتها حالة الكتابة، والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه وتعالى[1]....

قوله «فوضع شطرها» فى رواية مالك بن صعصعة «فوضع عنى عشراً» ومثله لشريك، وفى رواية ثابت «فحط عنى خمساً» قال ابن المنير: ذكر الشطر أعم من كونه وقع فى دفعة واحدة.

قلت: وكذا العشر فكأنه وضع العشر فى دفعتين والشطر فى خمس دفعات، أو المراد بالشطر فى حديث الباب البعض وقد حققت رواية ثابت أن التخفيف كان خمساً خمساً وهى زيادة معتمدة يتعين حمل باقى الروايات عليها، وأبدى ابن المنير هنا نكتة لطيفة فى قوله ﷺ لموسى عليه السلام لما أمره أن يرجع بعد أن صارت خمساً فقال: «استحييت من ربى»، قال ابن المنير: يحتمل أنه ﷺ تفرس من كون التخفيف وقع خمساً خمساً أنه لو سأل التخفيف بعد أن صارت خمساً لكان سائلاً فى رفعها فلذلك استحيا اهـ.

(١) قال الخطابى: هو صوت ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ، أو ما شاء الله تعالى من ذلك أن يكتب، ويرفع لما أراده الله من أمره وتدبيره فى خلقه سبحانه وتعالى لا يعلم الغيب إلا هو الغنى عن الاستذكار بتدوين الكتب والاستثبات فى الصحف ـ أحاط بكل شىء علماً، وأحصى كل شىء عدداً.

قوله «**هن خمس وهن خمسون**» هن خمس عدداً باعتبار الفعل وخمسون اعتداداً باعتبار الثواب، واستدل به على عدم فرضية ما زاد على الصلوات الخمس كالوتر.

قوله «**حبايل اللؤلؤ**» كذا المراد أن فيها عقوداً وقلائد من اللؤلؤ[1].

قال النووى: فى هذا الحديث دلالة لمذهب أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان وأن الجنة فى السماء والله أعلم[2].

●●●●●

(١) فتح البارى (١/ ٥٤٩ ـ ٥٥٣) باختصار.

(٢) «شرح النووى على صحيح مسلم» (١/ ٩٢٢).

الحديث الثالث

رواية البخارى

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضى الله عنه أنَّ نبىَّ الله ﷺ حدَّثهُ عن ليلةِ أسرىَ به قال: «**بينما أنا فى الحطيم - وربَّما قال فى الحجر - مضطجعاً، إذ أتانى آت فقدّ - قال وسمعتُه يقول: فشقَّ - ما بين هذه إلى هذه فقلتُ** للجارود[1] وهوَ إلىَّ جَنبى: ما يعنى به؟ قال: من ثُغرةِ نحرِه إلى شِعرته - وسمعتُه يقول من قصِّه إلى شعرته - **فاستخرج قلبى، ثمَّ أُتيتُ بطَست من ذَهب مملوءة إيماناً، فغُسلَ قلبى، ثم حُشى، ثم أُعيدَ، ثمَّ أتيتُ بدابة دُونَ البَغل وفوقَ الحمارِ أبيض يَضَعُ خَطوَهُ عندَ أقصى طرْفه، فحُملت عليه، فانطلَق بى جبريلُ حتى أتى السماء الدُّنيا فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال جبريل. قيلَ: ومَن معك؟ قال: محمد. قيلَ: وقد أرسلَ إليه؟ قال: نعم. قيل: مَرحباً به، فنعَم المجئ جاء ففتَح. فلما خَلَصتُ فإذا فيها آدمُ، فقال: هذا أبوك آدمُ، فسلمْ عليه. فسلمتُ عليه، فرَدَّ السلام ثم قال: مَرحَباً بالابنِ الصالح والنبىِّ الصالح. ثم صَعدَ بى حتى أتى السماء الثانيةَ فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسلَ إليه؟ قال: نعم. قيل: مَرحباً به، فنعمَ المجىء جاء. فَفَتح فلما خَلَصتُ إذا يحيى وعيسىٰ وهما ابنا خالة. قال: هذا يحيى وعيسى فسلمْ عليهما، فسلمتُ، فردّا، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح. ثمَّ صعد بى إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال:محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعمَ المجىء جاء. ففُتح، فلما خلصتُ إذا يوسُف، قال: هذا يوسُف فسلمْ عليه، فسلمتُ عليه، فردَّ ثمَّ قال: مَرحباً بالأخ الصالح والنبىِّ الصالح. ثم صعِدَ بى حتى أتى السماء الرابعة فاستفتَح، قيل: من**

(١) الجارود هو أحد الرواة

هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومَن معك؟ قال: محمد. قيل: أوَ قد أرسل إليه؟ قال: نعم: قيل: مرحباً به فنعمَ المجيء جاء. ففتح. فلما خَلصتُ فإذا إدريس. قال: هذا إدريسُ فسلم عليه، فسلمتُ عليه فردَّ ثم قال: مَرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح. ثم صعدَ بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. فلما خَلصتُ فإذا هارونُ. قال: هذا هارونُ فسلمْ عليه، فسلمتُ عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح. ثم صعدَ بى حتى أتى السماء السادسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسلَ إليه؟ قال: نعم. قال: مرحباً به، فنعم المجيء جاء. فلما خلصتُ فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلمْ عليه، فسلمتُ عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح. فلما تجاوَزتُ بكى. قيلَ له: ما يبكيك؟ قال: أبكى لأنَّ غُلاماً بُعث بعدى يدخل الجنة من أمَته أكثرُ ممن يدخُلها من أمَّتى. ثم صَعدَ بى إلى السماء السابعة، فاستَفتحَ جبريل، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعثَ إليه؟ قال: نعم. قال: مرحباً به، ونعم المجيء جاء. فلما خَلصتُ فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك فسلمْ عليه. قال فسلمتُ عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبيِّ الصالح. ثم رُفعَت لى سدرةُ المنتهى، فإذا نَبقُها مثلُ قلال هَجَر، وإذا وَرقُها مثلُ آذان الفيَلة. قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعةُ أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران. فقلتُ: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران فى الجنة، وأما الظاهران فالنيلُ والفُرات ثم رُفعَ لى البيت المعمور. ثمَّ أُتيتُ بإناء من خَمر وإناء من لبن وإناء من عَسل، فأخذتُ اللبنَ، قال: هَى الفطرةُ التى أنت عليها وأمَتُك ثمَّ فُرضت علىَّ الصلاةُ خمسينَ صلاة كلَّ يوم، فرَجَعْتُ فمرَرْتُ على موسى، فقال: بما أمرت؟ قال: أمرتُ بخمسينَ صلاة كل يوم. قال: إن أمتكَ لا تَستطيعُ خمسينَ صلاة كل يوم، وإنى

والله قد جربتُ الناس قبلك، وعالجتُ بنى إسرائيل أشد المعالجة، فارجعْ إلى ربِّك فاسألْهُ التخفيفَ لأمتك، فرجَعت، فوضعَ عنى عَشراً، فرجَعتُ إلى موسى فقال مثله. فرجعتُ فوضَع عنى عَشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال مثله. فرجعت فوضَع عنى عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله. فرجعتُ فأمِرتُ بعَشرِ صلوات كلَّ يوم، فرجعتُ فقال مثله. فرجعتُ فأمرتُ بخمس صلوات كل يوم، فرجعتُ إلى موسى فقال: بما أمرت؟ قلتُ: أمِرتُ بخمس صلوات كلِّ يوم. قال: إن أمتكَ لا تَستطيع خمسَ صلوات كل يوم، وإنى قد جَربتُ الناسَ قبلك، وعالجتُ بنى إسرائيل أشد المعالجة، فارجعْ إلى ربِّكَ فاسألهُ التخفيف لأمتك. قال سألت ربى حتى استحيَيتُ، ولكن أرضى وأسلم. قال فلما جاوزتُ نادى مُناد. أمضَيتُ فريضتى، وخَفَفتُ عن عبادى»[1].

●●●●●

(١) رواه البخارى (٣٨٨٧) كتاب مناقب الأنصار، باب: المعراج.

قال الحافظ ابن حجر: قوله «**فى الحطيم وربما قال فى الحجر**» هو شك من قتادة ووقع فى رواية أبى ذر «**فرج سقف بينى وأنا بمكة**» وفى رواية الواقدى بأسانيده أنه أسرى به من شعب أبى طالب، وفى حديث أم هانئ عند الطبرانى أنه بات فى بيتها قالت «ففقدته من الليل فقال إن جبريل أتانى» والجمع بين هذه الأقوال أنه نام فى بيت أم هانئ، وبيتها عند شعب أبى طالب، ففرج سقف بيته - وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه - فنزل منه الملك فأخرجه من البيت إلى المسجد فكان به مضطجعا وبه أثر النعاس، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق، وقد وقع فى مرسل الحسن عند ابن إسحاق أن جبريل أتاه فأخرجه إلى المسجد فأركبه البراق، وهو يؤيد هذا الجمع. وقيل الحكمة فى نزوله عليه من السقف الإشارة إلى المبالغة فى مفاجأته بذلك، والتنبيه على أن المراد منه أن يعرج به إلى جهة العلو.

قوله «**مضطجعا**» زاد فى بدء الخلق «**بين النائم واليقظان**» وهو محمول على ابتداء الحال، ثم لما خرج به إلى باب المسجد فأركبه البراق استمر فى يقظته.

قوله «**إذ أتانى آت**» هو جبريل وتقدم فى أول الصلاة أن المراد بالرجلين حمزة وجعفر وأن النبى ﷺ كان نائما بينهما، ويستفاد منه ما كان فيه ﷺ من التواضع وحسن الخلق، وفيه جواز نوم جماعة فى موضع واحد، وثبت من طرق أخرى أنه يشترط أن لا يجتمعوا فى لحاف واحد.

قوله «**من ثغرة**»،هى الموضع المنخفض الذى بين الترقوتين.

قوله «**إلى شعرته**» أى شعر العانة.

قوله (من قصه) أى رأس صدره.

وقد استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء وقال: إنما كان ذلك وهو صغير فى بنى سعد، ولا إنكار فى ذلك، فقد تواردت الروايات به. وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم فى «الدلائل» ولكل منهما حكمة.

فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس «**فأخرج علقة**

فقال: هذا حظ الشيطان منك» وكان هذا فى زمن الطفولية فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ثم وقع شق الصدر عند البعثة زيادة فى إكرامه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوى فى أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاةوجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك،

قوله «فغسل قلبى» فى رواية مسلم «**فاستخرج قلبى فغسل بماء زمزم**» وفيه فضيلة ماء زمزم على جميع المياه، قال ابن أبى جمرة: وإنما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع فى ماء زمزم من كون أصل مائها من الجنة ثم استقر فى الأرض فأيد بذلك بقاء بركة النبى ﷺ فى الأرض.

قوله «**ثم حشى ثم أعيد**» زاد فى رواية مسلم مكانه «**ثم حشى إيمانا وحكمة**»، وقد اشتملت هذه القصة من خوارق العادة على ما يدهش سامعه فضلا عمن شاهده، فقد جرت العادة بأن من شق بطنه وأخرج قلبه يموت لا محالة، ومع ذلك فلم يؤثر فيه ذلك ضرراً ولا وجعاً فضلا عن غير ذلك. قال ابن أبى جمرة: الحكمة فى شق قلبه ـ مع القدرة على أن يمتلئ قلبه إيمانا وحكمة بغير شق ـ الزيادة فى قوة اليقين، لأنه أعطى برؤية شق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العاديّة، فلذلك كان أشجع الناس وأعلاهم حالا ومقالا، ولذلك وصف بقوله تعالى: ﴿**ما زاغ البصر وما طغى**﴾.

قوله «**ثم أتيت بدابة**» قيل الحكمة فى الإسراء به راكبا مع القدرة على طى الأرض له إشارة إلى أن ذلك وقع تأنيساً له بالعادة فى مقام خرق العادة، لأن العادة جرت بأن الملك إذا استدعى من يختص به يبعث إليه بما يركبه.

قوله «**يضع خطوه عند أقصى طرفه**» أى نظره، أى يضع رجله عند منتهى ما قوله «**فحملت عليه**» أنس «**أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به أتى بالبراق مسرجا ملجما فاستصعب عليه، فقال له جبريل: ما حملك على هذا؟ فو الله ما ركبك خلق قط أكرم على الله منه، قال فارفضّ عرقاً**» أخرجه الترمذى وقال: حسن

غريب، وصححه ابن حبان[1]. . . وفيه دلالة على أن البراق كان معداً لركوب الأنبياء خلافاً لمن نفى ذلك. قال ابن المنير: إنما استصعب البراق تيها وزهواً بركوب النبى ﷺ، وأراد جبريل استنطاقه فلذلك خجل وارفض عرقاً من ذلك. وقريب من ذلك رجفة الجبل به حتى قال به «**اثبت فإنما عليك نبى وصديق وشهيد**» فإنها هزة الطرب لا هزة الغضب.

وقوله فى رواية ثابت «**فربطته بالحلقة**» أنكره حذيفة، فروى أحمد والترمذى من حديث حذيفة قال «تحدثون أنه ربطه، أخاف أن يفر منه، وقد سخره له عالم الغيب والشهادة»؟ قال البيهقى: المثبت مقدم على النافى، يعنى من أثبت ربط البراق والصلاة فى بيت المقدس معه زيادة علم على من نفى ذلك، فهو أولى بالقبول. ووقع فى رواية بريدة عند البزار «لما كان ليلة أسرى به فأتى جبريل الصخرة التى ببيت المقدس فوضع إصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق[2]، ونحوه للترمذى، وأنكر حذيفة أيضا فى هذا الحديث أنه ﷺ صلى فى بيت المقدس، واحتج بأنه لو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه كما كتب عليكم الصلاة فى البيت العتيق، والجواب عنه منع التلازم فى الصلاة إن كان أراد بقوله «**كتب عليكم**» الفرض وإن أراد التشريع فنلتزمه، وقد شرع النبى ﷺ الصلاة فى بيت المقدس فقرنه بالمسجد الحرام ومسجده فى شد الرحال، وذكر فضيلة الصلاة فيه فى غير ما حديث، وفى حديث أبى سعيد عند البيهقى «**حتى أتيت بيت المقدس فأوثقت دابتى بالحلقة التى كانت الأنبياء تربط بها ـ وفيه ـ فدخلت أنا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين**».

وفى رواية عبد الله بن مسعود نحوه وزاد، «**ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد، ثم أقيمت الصلاة فأممتهم**».

وفى رواية أنس عند ابن أبى حاتم «**فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثير، ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا، فأخذ بيدى**

(١) **صحيح**: رواه الترمذى فى «التفسير» (٣١٣٠) وابن حبان (٤٦ـ إحسان).

(٢) **صحيح**: رواه البزار كما قال الحافظ، والترمذى (٣١٣٢) وابن حبان (٤٧ـ إحسان) والحاكم ٢/ ٣٦٠) وصححه ووافقه الذهبى.

جبريل فقدمنى فصليت بهم».

وفى حديث ابن مسعود عند مسلم «**وحانت الصلاة فأممتهم**» وفى حديث ابن عباس عند أحمد «**فلما أتى النبى ﷺ المسجد الأقصى قام يصلى، فإذا النبيون أجمعون يصلون معه**» وفى حديث عمر عند أحمد أيضاً أنه «**لما دخل بيت المقدس قال: أصلى حيث صلى رسول الله ﷺ، فتقدم إلى القبلة فصلى**».

قال عياض يحتمل أن يكون صلى بالأنبياء جميعاً فى بيت المقدس، ثم صعد منهم إلى السماوات من ذكر أنه ﷺ رآه، ويحتمل أن تكون صلاته بهم بعد أن هبط من السماء فهبطوا أيضاً. وقال غيره: رؤيته إياهم فى السماء محمولة على رؤية أرواحهم إلا عيسى لما ثبت أنه رفع بجسده، وقد قيل فى إدريس أيضا ذلك، وأما الذين صلوا معه فى بيت المقدس فيحتمل الأرواح خاصة، ويحتمل الأجساد بأرواحها، والأظهر أن صلاته بهم ببيت المقدس كان قبل العروج، والله أعلم(١).

وقد توافقت هذه الرواية مع رواية ثابت عن أنس عند مسلم أن فى الأولى آدم وفى الثانية يحيى وعيسى، وفى الثالثة يوسف، وفى الرابعة إدريس، وفى الخامسة هارون، وفى السادسة موسى، وفى السابعة إبراهيم. وقد استشكل رؤية الأنبياء فى السماوات مع أن أجسادهم مستقرة فى قبورهم بالأرض، وأجيب بأن أرواحهم تشكلت بصور أجسادهم أو أحضرت أجسادهم لملاقاة النبى ﷺ تلك الليلة تشريفاً له وتكريماً، ويؤيده حديث عبد الرحمن بن هاشم عن أنس ففيه «**وبعث له آدم فمن دونه من الأنبياء**». والله أعلم.

---

(١) ورجح الحافظ ابن كثير أن صلاة النبى ﷺ بالأنبياء كانت بعد رجوعه من المعراج. قال ـ رحمه الله ـ: «وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفاً بعباده وفى هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها» ثم هبط إلى بيت المقدس وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة ويحتمل أنها الصبح من يومئذ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم فى السماء والذى تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس ولكن فى بعضها أنه كان أول دخوله إليه والظاهر أنه بعد رجوعه إليه لأنه لما مرَّ بهم فى منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً وهو يخبره بهم وهذا هو اللائق لأنه كان أولا مطلوباً إلى الجناب العلوى ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى ثم لما فرغ من الذى أريد به اجتمع به هو وإخوانه من النبيين ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه فى الإمامة وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام له بذلك. ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٣)..

وقد اختلف فى الحكمة فى اختصاص كل منهم بالسماء التى التقاه بها، فقيل ليظهر تفاضلهم فى الدرجات،وقيل الحكمة فى الاقتصار على هؤلاء المذكورين للإشارة إلى ما سيقع له ﷺ مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم، فأما آدم فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة إلى الأرض بما سيقع للنبى ﷺ من الهجرة إلى المدينة، والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما ألفه من الوطن، ثم كان مآل كل منهما أن يرجع إلى موطنه الذى أخرج منه، وبعيسى ويحيى على ما وقع له من أول الهجرة من عداوة اليهود وتماديهم على البغى عليه وإرادتهم وصول السوء إليه، وبيوسف على ما وقع له من إخوته من قريش فى نصبهم الحرب له وإرادتهم هلاكه وكانت العاقبة له، وقد أشار إلى ذلك بقوله لقريش يوم الفتح: «**أقول كما قال يوسف: لا تثريب عليكم**» وبإدريس على رفيع منزلته عند الله، وبهارون على أن قومه رجعوا إلى محبته بعد أن آذوه، وبموسى على ما وقع له من معالجة قومه وقد أشار إلى ذلك بقوله «**لقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر**» وبإبراهيم فى استناده إلى البيت المعمور بما ختم له ﷺ فى آخر عمره من إقامه منسك الحج وتعظيم البيت، وهذه مناسبات لطيفة.

قوله فى قصة موسى «**فلما تجاوزت بكى، قيل له ما يبكيك؟ قال: أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى**» قال العلماء: لم يكن بكاء موسى حسداً، معاذ الله، فإن الحسد فى ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى، بل كان أسفا على ما فاته من الأجر الذى يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزم لتنقيص أجره، لأن لكل نبى مثل أجر كل من اتبعه، ولهذا كان من اتبعه من أمته فى العدد دون من اتبع نبينا ﷺ مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة.

وأما قوله «**غلام**» فليس على سبيل النقص، بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه إذ أعطى لمن كان فى ذلك السن ما لم يعطه أحدا قبله ممن هو أسن منه، وقد وقع من موسى من العناية بهذه الأمة من أمر الصلاة ما لم يقع لغيره.

قال ابن أبى جمرة: إن الله جعل الرحمة فى قلوب الأنبياء أكثر مما جعل فى

قلوب غيرهم، لذلك بكى رحمة لأمته.

«**تكلمة**»: اختلف فى حال الأنبياء عند لقى النبى ﷺ إياهم ليلة الإسراء هل أسرى بأجسادهم لملاقاة النبى ﷺ تلك الليلة، أو أن أرواحهم مستقرة فى الأماكن التى لقيهم النبى ﷺ وأرواحهم مشكلة بشكل أجسادهم كما جزم به أبو الوفاء بن عقيل، واختار الأول بعض شيوخنا، واحتج بما ثبت فى مسلم عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**رأيت موسى ليلة أسرى بى قائماً يصلى فى قبره**» فدل على أنه أسرى به لما مر به. قلت: وليس ذلك بلازم بل يجوز أن يكون لروحه اتصال بجسده فى الأرض، فلذلك يتمكن من الصلاة وروحه مستقرة فى السماء.

قوله «**ثم رفعت إلىَّ سدرة المنتهى**» وقع بيان سبب تسميتها سدرة المنتهى فى حديث ابن مسعود عند مسلم ولفظه: لما أسرى برسول الله ﷺ قال« **انتهى بى إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة وإليها ينتهى ما يعرج من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهى ما يهبط فيقبض منها**» وقال النووى سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهى إليها، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ.

قلت: وهذا لا يعارض حديث ابن مسعود المتقدم، لكن حديث ابن مسعود ثابت فى الصحيح فهو أولى بالاعتماد. قلت: وأورد النووى هذا بصيغة التمريض فقال: وحكى عن ابن مسعود أنها سميت بذلك إلخ. هكذا أورده فأشعر بضعفه عنده، ولا سيما ولم يصرح برفعه، وهو صحيح مرفوع[1].

قوله «**فإذا نبقها**» والنبق معروف وهو ثمر السدر.

قوله «**مثل قلال هجر**» قال الخطابى: القلال جمع قلة الجرار، يريد أن ثمرها فى الكبر مثل القلال، وكانت معروفة عند المخاطبين فلذلك وقع التمثيل بها، وقوله «**هجر**» بلدة.

قوله «**وإذا ورقها مثل آذان الفيل**» قال ابن دحية: اختيرت السدرة دون غيرها لأن فيها ثلاثة أوصاف: ظل ممدود، وطعام لذيذ، ورائحة زكية فكانت بمنزلة

---

(١) لم أقف عليه مرفوعاً. وهو عند مسلم (٤٢٤) واحمد (١/١/ ٣٩٤) و٤١٨ و٤١٩) والترمذى (٣٢٧٦) موقوفاً على ابن مسعود رضى الله عنه.

الإيمان الذى يجمع القول والعمل والنية، والظل بمنزلة العمل، والطعام بمنزلة النية، والرائحة بمنزلة القول.

قوله «**وإذا أربعة أنهار» ـ أى فى أصل سدرة المنتهى ـ أربعة أنهار** » ولمسلم «**يخرج من أصلها**» ووقع فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة «**أربعة أنهار من الجنة: النيل والفرات وسيحان وجيحان**» فيحتمل أن تكون سدرة المنتهى مغروسة فى الجنة والأنهار تخرج من تحتها فيصح أنها من الجنة.

*** قوله «أما الباطنان ففى الجنة »**

قال النووى: فى هذا الحديث أن أصل النيل والفرات من الجنة، وأنهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى، ثم يسيران حيث شاء الله، ثم ينزلان إلى الأرض، ثم يسيران فيها ثم يخرجان منها، وهذا لا يمنعه العقل، وقد شهد به ظاهر الخبر فليعتمد. وأما قول عياض: إن الحديث يدل على أن أصل سدرة المنتهى فى الأرض لكونه قال: إن النيل والفرات يخرجان من أصلها وهما بالمشاهدة يخرجان من الأرض فيلزم منه أن يكون أصل السدرة فى الأرض وهو متعقب، فإن المراد بكونهما يخرجان من أصلها غير خروجهما بالنبع من الأرض. والحاصل أن أصلها فى الجنة وهما يخرجان أولاً من أصلها ثم يسيران إلى أن يستقروا فى الأرض ثم ينبعان [١] واستدل به على فضيلة ماء النيل والفرات لكون منبعهما من الجنة، وكذا سيحان وجيحان[٢].

●●●●●

(١) قال الألبانى: لعل المراد من كون هذه الأنهار من الجنة أن أصلها منها كما أن أصل الإنسان من الجنة، فلا ينافى الحديث ما هو معلوم مشاهد من أن هذه الأنهار تنبع من منابعها المعروفة فى الأرض، فإن لم يكن هذا هو المعنى أو ما يشبهه، فالحديث من أمور الغيب التى يجب الإيمان بها والتسليم للمُخبر عنها﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾ [الصحيحة] (١/ ١٧٨).

(٢) فتح البارى (٧/ ٢٤٣ ـ ٢٥٥) باختصار.

المشاهد التى شاهدها الرسول ﷺ
فى الإسراء والمعراج

هذا الباب كثرت فيه الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ويحلو لبعض الواعظين أن يحدثوا الناس بهذه الأحاديث الباطلة ! بزعم أن لها أثر بالغ فى الترغيب والترهيب!! وهذه دعوى باطلة لأنها تساعد على ترويج الأحاديث الباطلة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ففى الأحاديث الصحيحة ما يُغنى عن الأحاديث الباطلة وقد التزمت فى هذا الباب بإيراد الأحاديث الصحيحة لاغير.

*** المشهد الأول**

عن أنس بن مالك، رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَرَرْتُ بِمُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِى وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّى فى قَبْرِهِ عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ»**[1].

قال ابن حبان: الله جلَّ وعلا قادرٌ على ما يشاء، ربما يَعِدُ الشىءَ لوقت معلوم، ثُمَّ يقضى كونَ بعضِ ذلك الشىء قبلَ مجىءِ ذلكَ الوقت، كوعده إحياءَ الموتى يومَ القيامة وجعله محدوداً، ثم قضى كونَ مثله فى بعضِ الأحوال، مثل مَنْ ذكرهُ الله وجعله الله جلَّ وعلا فى كتابه حيث يقولُ: **﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾** [البقرة: ٢٥٩] وكإحياء الله جلَّ وعلا لعيسى ابن مريم صلواتُ الله عليه بعضَ الأموات.

فلما صحَّ وجودُ كون هذه الحالة فى البشر، إذا أراده اللهُ جلَّ وعلا قبل يوم القيامة، لم يُنْكَر أنَّ الله جَلَّ وعلا أحيَا موسى فى قبره حتى مرَّ عليه المصطفى ﷺ ليلةَ أُسرى به، وذاك أنَّ قبرَ موسى بمدين بين المدينة وبين بيت المقدس، فرآه ﷺ

---

(١) رواه مسلم (٦٨٧٤) كتاب الفضائل، باب: من فضائل موسى ﷺ. وأحمد (٣/ ١٢٠ و٢٤٨ و٢٤٩) والنسائى (٣/ ٢١٥ و٢١٦) فى قيام الليل، باب: ذكر صلاة نبى الله ﷺ. وابن أبى شيبة (١٤/ ٣٠٧ و٣٠٨) وابن حبان (٥٠ ـ إحسان) والبغوى فى «شرح السنة» (٣٧٦٠).

يَدْعُو فى قَبْرِه[١] ـ إذ الصَّلَاةُ دُعَاءٌ ـ فَلَمَّا دَخَلَ ﷺ بَيْتَ المَقْدسِ وأسرى به، أسرى بموسى حتى رآه في السماء السادسة، جرى بينه وبينه في الكلام ما تقدّم ذكرنا له، وكذلك رؤيته سائرَ الأنبياء الذين فى خبر مالك بن صَعْصَعَةَ[٢].

وقال البيهقى: ليس فى هذه الأخبار منافاة، فقد يراه فى سيره وإنما يصلى فى قبره لم يسار به إلى بيت المقدس، كما أسرى بالنبى ﷺ والأنبياء صلوات الله عليهم أحياء عند ربهم كالشهداء، فلا ينكر حلولهم فى أوقات بمواضع مختلفة كما ورد خبر الصادق به[٣].

وقد اعترض البعض على هذا الحديث بأن التكليف قد انقطع بالموت، فكيف يصلى موسى بعد موته؟!

وقد أجاب السبكى ـ رحمه الله ـ على ذلك فقال: إنا نقول إن المنقطع فى الآخرة إنما هو التكليف، وقد تحصل الأعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها والخضوع لله تعالى، ولهذا ورد أنهم يُسَبِّحون ويدعون ويقرأون القرآن، وانظر إلى سجود النبى ﷺ وقت الشفاعة، أليس ذلك عبادة وعملاً؟ وعلى كلا الجوابين لا يمتنع حصول هذه الأعمال فى مدة البرزخ[٤].

*** المشهد الثانى:**

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لقيت ابراهيم ليلة أسرى بى، فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»[٥].

---

(١) ويحتمل أنه كان يصلى حقيقة، ولعل هذا هو الأقرب للصواب.

(٢) «الإحسان بترتيب ابن بلبان» (١/ ٥١).

(٣) «دلائل النبوة» للبيهقى (٢/ ٣٨٨).

(٤) «دلائل النبوة» للبيهقى (٢/ ٣٨٨).

(٥) حسن. رواه الترمذى (٢٤٦٢) وفى سنده عبد الرحمن بن إسحاق وهو ضعيف، ولكن له شاهد يقويه من حديث أبى أيوب الأنصارى، رواه أحمد (٥/ ٤١٨) والطبرانى وقال الهيثمى فى «المجمع» (٩٠/ ٩٧) ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو ثقة لم يتكلم فيه أحد، ووثقه ابن حبان. أ هـ.

وقيعان: جمع قاع، وهو المكان المستوى الواسع فى وطأة من الأرض يعلوه ماء السماء فيمسكه، ويستوى نباته[١].

*** المشهد الثالث:**

عن أَنَس بن مالك رضى الله عنه، قال: قال رسولُ الله، ﷺ: «**رأيت ليلة أسرى بى رجالاً تقرضُ شفاههم بمقارض من نار، فقلت: مَن هؤلاء ياجبريل؟ فقال: الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون**»[٢].

*** المشهد الرابع:**

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لما عرج بى ربى عز وجل مررت بقوم لهمْ أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم**»[٣].

المشهد الخامس:

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ليلة أُسْرِىَ بنبى الله ﷺ ودخل الجنة، فسمع من جانبها وجْساً[٤] قال: «**يا جبريل، ما هذا؟ قال: هذا بلال المؤذن**»، فقال نبى الله ﷺ حين جاء إلى الناس: «**قد أفلح بلال، رأيت له كذا وكذا**» قال: **فلقيه موسى فرحَّب به، وقال: مرحباً بالنبى الأمى، قال: فقال: وهو رجل آدم[٥] طويل سبط شعره، مع أذنيه أو فوقهما، فقال: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا موسى عليه**

---

(١) «النهاية» لابن الأثير.

(٢) صحيح. رواه ابن حبان (٥٤ ـ إحسان) وأبو يعلى فى «مسنده» كما فى «الصحيحة» (١/٥٢٢) وفى سنده المغيرة بن حبيب، أبو صالح الأزدى، ترجمه الذهبى فى «الميزان» وقال: قال الأزدى: منكر الحديث، وذكره ابن حبان فى «الثقات» وقال: يضرب. وأورده ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، ولكنه توبع فى هذا الحديث. وانظر «الصحيحة» (٢٩١) والإحسان (١/٢٤٩).

(٣) صحيح. رواه أحمد (٣/٢٢٤) وأبو داود (٢/٢٩٨) وصححه الألبانى فى تعليقه على «فقه السيرة» للغزالى ص ١٤٨.

(٤) الوجس: بفتح الواو وسكون الجيم: الصوت الخفى.

(٥) آدم: أى أسمر.

السلام، قال:فمضى، فلقيه عيسى فرحَّب به وقال: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا عيسى. قال: فمضى، فلقيه شيخ جليل مهيب، فرحَّب به وسلَّم عليه، وكلهم يسلم عليه، قال: من هذا يا جبريل قال: هذا أبوك إبراهيم، قال: فنظر فى النار فإذا قوم يأكلون الجيف، قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ورأى رجلاً أحمر أزرق جَعْداً شَعِثاً، قال: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا عاقر الناقة[1] قال: فلما دخل النبى ﷺ المَسجد الأقصى قام يصلى، فالتفت ثم التفت، فإذا النبيون أجمعون يصلون معه، فلما انصرف جىء بقدحين، أحدهما عن اليمين، والآخر عن الشمال، فى أحدهما لبن وفى الآخر عسل، فأخذ اللبن فشرب منه، فقال الذى كان معه القدح: أصبت الفطرة»[2].

* **المشهد السادس:**

عَن ابْنُ عبَّاس رضى الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ **«مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِى عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. رَجُلٌ آدَم طُوَالٌ جَعْد. كأَنهُ مِنْ رِجَالِ شَنوءَةَ»**.

وَرَأَيْتُ عِيسَى بْنَ مَرْيَم جعدَ مَرْبُوعِ الْخَلْق. إِلَى الحُمْرَة وَالْبَيَاضِ. سَبطَ الرَّأسِ». وَأُرِىَ مَالِكاً خَازِنَ النار، والدَّجَّالَ. فى آيَات أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ[3].

قال الجوهرى: الشنوءة التقزز وهو التباعد من الأدناس، ومنه أزد شنوءة وهم حى من اليمن ينسب إليهن شنئى.

وأما قوله ﷺ فى عيسى ﷺ« **أنه جعد**» ووقع فى أكثر الروايات فى صفته سبط الرأس، فقال العلماء: المراد بالجعد هنا جعودة الجسم وهو اجتماعه واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر.

وأما الجعد فى صفة موسى عليه السلام فقال صاحب التحرير فيه معنيان

(١) أى عاقر ناقة ثمود عليه السلام.

(٢) **صحيح**. رواه أحمد (١/ ٢٥٧) وقال ابن كثير فى تفسيره (٣/ ١٤) سنده صحيح لم يخرجوه.

(٣) رواه البخارى (٣٢٣٩) كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين، ومسلم (٤١٢) كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

أحدهما ما ذكرناه فى عيسى عليه السلام وهو اكتناز الجسم والثانى جعودة الشعر.

قال: والأول أصح لأنه قد جاء فى رواية أبى هريرة فى الصحيح أنه رجل الشعر هذا كلام صاحب التحرير والمعنيان فيه جائزان وتكون جعودة الشعر على المعنى الثانى ليست جعودة القطط بل معناها أنه بين القطط والسبط والله أعلم.

«والسبط»... قال أهل اللغة الشعر السبط هو المسترسل ليس فيه تكسر والله أعلم[1].

* **المشهد السابع:**

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لفتى من قريش، فظننت أنه لى. قلت: من هو؟ قيل: عمر بن الخطاب فقلت: يا أبا حفص لولا ما أعلم من غيرتك، لدخلته»** فقال: يا رسولَ الله، مَنْ كُنْت أَغَارُ عَلَيْهِ، فإنى لَمْ أَكُنْ أَغَارُ عَلَيْك[2].

* **المشهد الثامن:**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ بِوَادِى الأَزْرَق فَقَالَ «أَىُّ وَادٍ هَذَا؟» فَقَالُوا: هَذَا وَادِى الأَزْرَق. فقالَ **«كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ هَابِطاً مِنَ الثَّنِيَّة وَلَهُ جُوَّارٌ إِلَى الله بِالتَّلْبِية»** ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرْشَى فَقَالَ **«أَىُّ ثَنِيَّة هَذه؟»** قَالُوا: ثَنِيَّة هَرْشَى قَالَ: **«كَأَنى أَنظُرُ إِلى يُونُس بن مَتّى عَلَيْه السَّلاَمُ عَلَى نَاقَة حَمْرَاء جَعْدَة[3] عَلَيْه جُبَّةٌ مِنْ صُوف. خِطَامُ[4] نَاقَته خُلْبَةٌ. وَهُوَ يُلَبِّى»**[5].

---

(١) «شرح النووى على صحيح مسلم» (١/ ٩٢٥ ـ ٩٢٩)باختصار.

(٢) صحيح. رواه أحمد (٣/ ١٠٧ و١٧٩ و١٩١ و٢٦٩) وفى «فضائل الصحابة» (٦٧٩) والترمذى (٣٦٨٨) والطحاوى فى «مشكل الآثار» (٢/ ٣٩٠) وابن أبى شيبة (٢/ ٢٧) والنسائى فى «فضائل الصحابة» (٢٦) وابن حبان (٥٤ ـ إحسان) وقال الترمذى: حسن صحيح.

(٣) جعدة: أى مكتنزة اللحم.

(٤) الخطام: الحبل الذى يقاد به البعير.

(٥) رواه مسلم (٤١٣) وابن ماجه (٢٨٩١).

وفى رواية عنه رضى الله عنه قال: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمدينَةِ فمرَرْنَا بِوَادٍ. فَقَالَ «**أَيُّ وَادٍ هَذا؟**» **فَقَالُوا**: وَادى الأَزْرَق فَقَالَ «**كأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى ﷺ وَاضعا أصْبَعَيْه فى أُذُنَيْه. لَهُ جُؤار**[1] **إِلَى الله بِالتَّلْبِيَة مَارًا بِهَذَا الْوَادى**» قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى ثَنِيَّةٍ. فَقَالَ «**أَىُّ ثَنِيَّةٍ هَذه؟**» قَالُوا: هَرْشَى أَوْلفَتٌ. فَقَالَ «**كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلى يُونُس على نَاقَةٍ حَمْرَاءَ عَلَيْه جُبَّةُ صُوف خِطَامُ نَاقَته لِيفٌ خُلْبَةٌ. مَارًا بِهَذَا الْوَادى مُلَبِّيًا**»[2].

قال النووى: قوله ﷺ «**كأنى أنظر إلى موسى ﷺ هابطاً من الثنية وله جؤار إلى الله تعالى بالتلبية**» ثم قال ﷺ فى يونس بن متى ﷺ «**رأيته وهو يلبى**».

قال القاضى عياض رحمه الله: أكثر الروايات فى وصفهم تدل على أنه ﷺ رأى ذلك ليلة أسرى به، قال فإن قيل كيف يحجون ويلبون وهم أموات وهم فى الدار الآخرة وليست دار عمل فاعلم أن للمشايخ وفيما ظهر لنا عن هذا أجوبة.

أحدها: أنهم كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا كما ورد فى الحديث الآخر، وأن يتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا لأنهم وإن كانوا قد توفوا فهم فى هذه الدنيا التى هى دار العمل حتى إذا فنيت مدتها وتعقبتها الآخرة التى هى دار الجزاء انقطع العمل.

الوجه الثانى: أن عمل الآخرة ذكر ودعاء قال الله تعالى: ﴿**دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام**﴾.

الوجه الثالث: أن تكون هذه رؤية منام فى غير ليلة الإسراء أو فى بعض ليلة الإسراء كما قال فى رواية ابن عمر رضى الله عنهما: «**بينا أنا نائم رأيتنى أطوف بالكعبة**» وذكر الحديث فى قصة عيسى ﷺ.

الوجه الرابع: أنه ﷺ أرى أحوالهن التى كانت فى حياتهم ومثلوا له فى حال

---

(١) الجؤار: رفع الصوت.
(٢) رواه مسلم (٤١٤) كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

حياتهم كيف كانوا وكيف حجهم وتلبيتهم كما قال ﷺ« **كأنى أنظر إلى موسى وكأنى أنظر إلى عيسى وكأنى أنظر إلى يونس عليهم السلام**» .

الوجه الخامس: كون أخبر عما أوحى إليه ﷺ من أمرهم وما كان منهم وإن لم يرهم رؤية عين . . هذا آخر كلام القاضى عياض رحمه الله والله أعلم[١].

*** المشهد التاسع**

عَنْ جابرٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ «**عُرِضَ عَلَيَّ الأَنْبِيَاءُ. فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ[٢] مِنَ الرِّجَالِ. كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ. وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ[٣]. وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ. فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهاً دَحْيَةُ ابْنُ خَلِيفَةَ[٤]**»[٥].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ النَّبِىُّ ﷺ «**حِينَ أُسْرِىَ بِى لَقِيتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ (فَنَعَتَهُ النَّبِىُّ ﷺ) فَإِذَا رَجُلٌ (حَسِبْتُه قَالَ) مُضْطَرِبٌ. رَجِلُ الرَّأْسِ. كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ. قَالَ، ولَقِيتُ عِيسَى (فَنَعَتَهُ النَّبِىُّ ﷺ) فَإِذَا رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ» (يَعْنِى حَمَّاماً) قال. وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ الله عليه. وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِه بِه. قَالَ، فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِى أَحَدِهما لَبَنٌ وفى الآخَرِ خَمْرٌ. فَقِيلَ لى: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ. فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ. فقال: هُدِيتَ الفِطْرَةَ. أَوْ أَصَبْتَ الفِطْرَةَ. أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ**»[٦].

---

(١) «شرح النووى على صحيح مسلم» (١/ ٠٩١ ـ ٩٣٣) باختصار يسير.

(٢)أى خفيف اللحم.

(٣) هو أحد صحابة رسول الله ﷺ.

(٤) هو أحد صحابة رسول الله ﷺ.

(٥) رواه مسلم (٤١٦) والترمذى (٣٦٤٩).

(٦) رواه البخارى (٣٣٩٤) ومسلم (٤١٧) والترمذى (٣١٣٠).

قال الحافظ ابن حجر:

قوله فى صفة عيسى «**ربعة**» هو المربوع، والمراد أنه ليس بطويل جداً ولا قصير جداً بل وسط، . .

قوله «**يعنى الحمام**» هو تفسير عبد الرزاق. . والديماس فى اللغة السرب، ويطلق أيضاً على الكن، والحمام من جملة الكن. والمراد من ذلك وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه حتى كأنه فى موضع كن فخرج منه وهو عرقان[1].

●●●●●

(١) «فتح البارى» (٦/٥٥٨).

هل رأى النبى ﷺ ربه ليلة المعراج؟

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: واختلفوا فى الرؤية فقال بعضهم: رآه بفؤاده مرتين، قاله ابن عباس وطائفة، وأطلق ابن عباس وغيره الرؤية وهو محمول على التقييد، وممن أطلق الرؤية أبو هريرة وأحمد بن حنبل رضى الله عنهما، وصرح بعضهم الرؤية للعينين واختاره ابن جرير وبالغ فيه وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين، وممن نص على الرؤية بعينى رأسه الشيخ أبو الحسن الأشعرى فيما نقله السهيلى عنه، واختاره الشيخ أبو زكريا النووى فى فتاويه، وقالت طائفة لم يقع ذلك لحديث أبى ذر فى صحيح مسلم، قلت: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنّى أراه» وفى رواية «**رأيت نورا**»، والخلاف فى هذه المسألة مشهور بين السلف والخلف والله أعلم(١).

قلت: والراجح فى هذه المسألة أن النبى ﷺ لم ير ربه بعينه وهذا ما رجحه الحافظ ابن كثير فى «تفسيره» قال: قال الحافظ أبو بكر البيهقى: فى حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه ﷺ رأى الله عز وجل، يعنى قوله: «**ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى**». قال: وقول عائشة وابن مسعود وأبى هريرة فى حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصح، وهذا الذى قاله البيهقى رحمه الله فى هذه المسألة هو الحق فإن أبا ذر قال: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: «**نور أنى أراه**» وفى رواية «**رأيت نوراً**» أخرجه مسلم. وقوله ﴿**ثم دنا فتدلى**﴾ إنما هو جبريل عليه السلام كما ثبت ذلك فى الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين، وعن ابن مسعود وكذلك هو فى صحيح مسلم عن أبى هريرة ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة فى تفسير هذه الآية بهذا(٢).

وقال أيضا فى تفسير قوله تعالى: ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ قال مسلم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن زياد بن حصين عن أبى العالية عن ابن عباس ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾ ﴿**لقد رآه نزلة أخرى**﴾ قال رآه بفؤاده

---

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ١٢) باختصار يسير.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣).

مرتين وكذا رواه سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله، وكذا قال أبو صالح السدى وغيرهما أنه رآه بفؤاده مرتين أو مرة، وقد خالفه ابن مسعود وغيره، وفى رواية عنه أنه أطلق الرؤية وهى محمولة على المقيدة بالفؤاد، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فإنه لا يصح فى ذلك شيء عن الصحابة رضى الله عنهم، وقول البغوى فى تفسيره وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر والله أعلم[1].

وقال ابن القيم: اختلف الصحابةُ: هل رأى ربَّهُ تلك الليلة، أم لا؟ فصحَّ عن ابن عبَّاسٍ أنه رأى ربَّهُ، وصحَّ عنه أنه قال: رَآهُ بفؤادِهِ[2].

وصحَّ عَنْ عَائشَةَ وابْن مَسْعُودٍ إنْكَارُ ذلكَ، وقَالا: إنَّ قَوْلَه: ﴿لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣] إنَّمَا هُوَ جبْريلُ[3].

وَصَحَّ عَنْ أبى ذَرٍّ أنَّه سَأَلَهُ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فقالَ: «نُورٌ أنى أرَاهُ» أى: حال بينى وبين رؤيته النور كما قال فى لفظ آخر: «رأَيْت نُوراً»[4].

وقد حكى عثمانُ بن سعيد الدَّارمى اتفاقَ الصَّحَابة على أنه لم يره.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية قدَّس اللهُ روحَه: وليس قولُ ابن عباس: «إنه رآه» مناقضاً لهذا، ولا قولُه: «رآهُ بفُؤاده» وقد صحَّ عنه أنه قال: «**رأيتُ ربِّى تَبَارَكَ وتَعَالَى**» ولكن لم يكن هذا فى الإسراء، ولكن كان فى المدينة لما احتُبِسَ عنهم فى صلاة الصبح، ثم أخبرهم عن رؤية ربِّه تبارك وتعالى تِلْكَ اللَّيْلَةَ فى منامه، وعلى

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦) (٢٨٤) و(٢٨٥) فى الإيمان: باب معنى قول الله عز وجل ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ والترمذى (٣٢٧٥) و(٣٢٧٦) و(٣٢٧٧) فى التفسير: باب ومن سورة النجم.

(٣) حديث عائشة أخرجه البخارى ٨/ ٤٦٦ و٤٦٧ و٤٦٩ فى تفسير سورة النجم فى فاتحتها، وفى تفسير سورة المائدة ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ وفى بدء الخلق: باب ذكر الملائكة، وفى التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ وأخرجه مسلم (١٧٧) فى الإيمان: باب معنى قول الله عز وجل: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ والترمذى (٣٢٧٤) فى التفسير: باب ومن سورة النجم وحديث ابن مسعود أخرجه البخارى (٨/ ٤٦٩، ٤٧٠)، ومسلم (١٧٤).

(٤) أخرجه مسلم (١٧٨، ٢٩١، ٢٩٢) فى الإيمان: باب قوله ﷺ: «نور أنى أراه».

هذا بنى الإمامُ أحمد رحمه الله تعالى، وقال: نعم رآه حقاً، فإنَّ رؤيا الأنبياء حق، ولابُدَّ، ولكن لم يَقُلْ أحمد رحمه الله تعالى: إنَّه رآهُ بعَيْنَىْ رأسه يقظةً، ومن حكى عنه ذلك، فقد وَهِمَ عليه، ولكن قال مرّة: رآه، ومرّةً قال: رآه بفؤاده فَحُكِيَتْ عنه روايتان، وحُكِيَت عنه الثالثة من تصرُّف بعض أصحابه: أنه رآه بعينى رأسه، وهذه نصوصُ أحمد موجودة، ليس فيها ذلك.

وأمَّا قول ابن عباس: أنَّه رآهُ بفُؤاده مرتين، فإن كان استنادُه إلى قوله تعالى ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١] ثم قال: ﴿لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣] والظاهر أنه مستندُه. فقد صحَّ عنه ﷺ أن هذا المرئى جبريلُ، رآهُ مَرَّتَيْن فى صُورته التى خُلِقَ عَلَيْهَا. وقول ابن عباس هذا هو مُسْتَنَدُ الإمام أحمد فى قوله: رآه بفؤاده، والله أعلم.

وأما قوله تعالى فى سورة النجم: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨] فهو غير الدُّنو والتَّدلى فى قصة الإسراء، فإنَّ الذى فى (سورة النجم) هو دنُّو جبريل وتدلِّيه، كما قالت عائشة وابنُ مسعود، والسياقُ يَدُلُّ عليه. فإنه قال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] وهو جبريل ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ. وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم ٦ ـ ٨]. فالضمائر كُلُّها راجعة إلى هذا المعلِّم الشديد القوى، وهو ذُو المِرَّة. أى: القوة. وهو الذى استوى بالأفق الأعلى، وهو الذى دنى فتدلى. فكان من محمد ﷺ قَدْرَ قوسين أو أدنى فأما الدُّنُوُّ والتدَّلى الذى فى حديث الإسراء، فذلك صريحٌ فى أنه دنوُّ الربِّ تبارك وتدلِّيه[2] ولا تَعَرُّض فى (سورة النجم) لذلك، بل فيها أنه رآه نزلةً أخرى عند سِدرة المنتهى، وهذا هو جبريل، رآهُ محمد ﷺ على صُورته مرتين: مرة فى الأرض، ومرة عند سدرة

---

(١) قطعة من حديث صحيح مطول أخرجه أحمد ١/٣٦٨، والترمذى (٣٢٣١، ٣٢٣٢) من حديث ابن عباس، وأحمد ٥/٢٤٣ والترمذى (٣٢٣٣) من حديث معاذ بن جبل، وأحمد ٤/٦٦ و٥/٣٧٨ من حديث عبد الرحمن بن عائش، عن بعض أصحاب النبى ﷺ.

(٢) سبق أن هذا مما تفرد به شريك، فوهم فيه، ولا أدرى كيف خفى ذلك على ابن القيم رحمه الله، مع أنه قد نبَّه فى موضع آخر على بعض أوهام شريك فى هذا الحديث.

المنتهى، والله أعلم[1].

وقال الشنقيطى: اختلف العلماء ـ هل رأى رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء بعين رأسه أولا؟ فقال ابن عباس وغيره: رآه بعين رأسه. وقالت عائشة وغيرها: لم يره. وهو خلاف مشهور بين أهل العلم معروف.

قال مقيده عفا الله عنه: التحقيق الذى دلت عليه نصوص الشرع: أنه ﷺ لم يره بعين رأسه. وما جاء عن بعض السلف من أنه رآه، فالمراد به الرؤية بالقلب، كما فى صحيح مسلم: أنه رآه بفؤاده مرتين لا بعين الرأس.

ومن أوضح الأدلة على ذلك ـ أن أبا ذر رضى الله عنه ـ وهو فى صدق اللهجة ـ سأل النبى ﷺ عن هذه المسألة بعينها. فأفتاه بما مقتضاه: أنه لم يره. قال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى فى صحيحه... عن أبى ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «**نور! أنى أراه**»؟

وعن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبى ذر، لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته، فقال: عن أى شىء كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله: هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألته فقال: «**رأيت نورا**» هذا لفظ مسلم. وقال النووى فى شرحه لمسلم: أما قوله ﷺ «**نور أنى أراه**»!! فهو بتنوين «نور» ومعناه حجابه نور، فكيف أراه!!

قال الإمام أبو عبد الله المازرى رحمه الله: الضمير فى «**أراه**» عائد إلى الله سبحانه وتعالى، ومعناه: أن النور منعنى من الرؤية، كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار، ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائى وبينه:

وقوله ﷺ: «**رأيت نوراً**» معناه: رأيت النور فحسب ولم أر غيره. قال: وروى «**نور أنى أراه**» بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء. ومحتمل أن يكون معناه راجحا إلى ما قلناه، أى خالق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الأفعال.

قال القاضى عياض رحمه الله: هذه الرواية لم تقع إلينا! ولا رأيناها فى شىء من الأصول. أ هـ. محل الغرض فى كلام النووى.

---

(١) «زاد المعاد» (٣/٣٦ ـ ٣٨). ط الرسالة.

قال مقيده عفا الله عنه: التحقيق الذى لا شك فيه هو: أن معنى الحديث هو ما ذكر، من كونه لا يتمكن أحد من رؤيته لقوة النور الذى هو حجابه ومن أصرح الأدلة على ذلك أيضا حديث أبى موسى المتفق عليه **حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»** وهذا هو معنى قوله ﷺ: «**نور أنى أراه**»؟، أى كيف أراه وحجابه نور، من صفته أنه لو كشفه لأحرق ما انتهى إليه بصره من خلقه.

وأما قوله: ﴿**ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين..**﴾ الآية - فذلك جبريل على التحقيق، لا الله جل وعلا[1].

●●●●●

(١) «أضواء البيان» (٣/ ٣٦٣ - ٣٦٥). باختصار يسير.

الرسول ﷺ يخبر قومه

بحادثة الإسراء والمعراج

فى صبيحة ليلة الإسراء والمعراج أخبر الرسول ﷺ قومه بما حدث له فى تلك الليلة، فتعجب الناس من كلام الرسول ﷺ ولم يترددوا فى تكذيبه والتهكم عليه ﷺ وصَفَّقَ بعضهم تعجباً!، والبعض الآخر وضعوا أيديهم على رؤوسهم تعجباً، وارتد بعض الناس ممن لم يثبت الإيمان فى قلوبهم!!

ثم أراد القوم أن يظهروا كذب النبى ﷺ بزعمهم، فطلبوا منه أن يصف لهم بيت المقدس وذلك لأنهم يعرفون بيت المقدس حيث كانوا يشاهدونه فى أسفارهم للتجارة.

وكان هذا المطلب من القوم فرجاً على النبى ﷺ ودليلاً على صدقه ﷺ، وذلك أن الله تعالى قد كشف لنبيه ﷺ بيت المقدس حتى وضع له البيت بالقرب منه ﷺ، فكان النبى ﷺ ينظر إلى البيت ويصفه لقومه فكان الوصف كما رأوه وكانت هذه معجزة أخرى أكرم الله بها نبيه ﷺ، وما ذاك فى قدرة الله بعزيز.

الأحاديث الواردة فى ذلك

١ـ عن جابر رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«لَمَّا كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته** [١] **وأنا أنظر إليه»**[٢].

٢ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألني عن مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أُثبتْها، فكربتُ كُرْبَةً ماكربتُ مثله قط. قال: فرفعه الله لى أنظر إليه ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم به»**[٣].

---

(١) أى عن أوصافه وعلاماته.

(٢) رواه البخارى (٣٨٨٦، ٤٧١٠) ومسلم (٤٢١) والترمذى (٣١٣٣) والنسائى فى «الكبرى» (١١٢٨٢).

(٣) رواه مسلم (٤٢٣) والنسائى فى «الكبرى» (١١٢٨٤).

٣ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «أسرى بالنبى ﷺ إلى بيت المقدس، ثم جاء من ليلته فحدّثهم بمسيره وبعلامة بيت المقدس، وبعيرهم فقال ناس: نحن لا نصدق محمداً بما يقول. فارتدوا كفاراً فضرب الله أعناقهم مع أبى جهل»(١).

٤ـ وعنه رضى الله عنهما قال: قَال رسول الله ﷺ: «**لما كان ليلة أسرى بى؛ قَالَ: ثم أصبحت بمكة؛ قَالَ: فضقت بأمرى وعلمت أنَّ الناس مُكذّبىّ فقعدت معتزلاً حزيناً فمرّ بى عدوُّ الله؛ أبو جهل فجاء حتى جلس إلىَّ، ثم قَالَ كالمستهزئ: هل من شىء؟ فَقالَ رسول الله ﷺ: نعم؛ قال: فَقَالَ: إلى أين؟ قلتُ: إلى بيت المقدس؛ قَالَ: فقَالَ أبو جهل: ثم أصبحت بين ظهرانَينا!. قَالَ رسول الله ﷺ: نعم؛ قَالَ: فلم يُره أنه مكذبه، مخافة أن يجحدَ الحديثَ؛ قَالَ: فقَالَ: إذاَ دعوتُ إليكَ قومَك أتُحدّثُهم مثلَ ما حدّثتنى؟ فقَالَ رسول الله ﷺ: «نعم»**. قال: فَقَالَ أبو جهل: يامعشر بنى كعب بن لؤى هلمُّوا إلىَّ؛ قَالَ: فانتفضت المجالس فجاؤوا حتى جلسوا إليهما؛ قال: فقَالَ أبو جهل لرسول الله ﷺ: حدّثْ قومَكَ ماحدثتنى. فقَالَ رسول الله ﷺ: «**أُسرىَ بى الليلة**». فقالوا: إلى أين؟ فقلت: «**إلى بيت المقدس**». قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم**». قَالَ: فَبْينَ مُصَفِّق، وآخرَ واضعٌ يده على رأسه مستعجباً للكذب زَعَم، قال فقَالَ القومُ: تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ قال: وفى القوم من قد سار إلى ذلك البلد ورأى المسجد قال فقَالَ رسول الله ﷺ. «**فذهبتُ أنَعتُ فما زلت أنعت حتى لُبِّسَ علىَّ بعض النعت قَالَ: فجِىءَ بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل وأنا أنظر إليه؛ قَالَ القوم: أمَّا النعت فقد أصبتَ**»(٢).

●●●●●

(١) حسن. رواه أحمد (١/ ٣٧٤) والنسائى فى «الكبرى» (٦/ ٣٣٧) رقم (١١٢٨٣)

(٢) حسن. رواه أحمد (١/ ٣٠٩) والنسائى فى «تفسيره» (١/ ٦٤٥) وفى «الكبرى» (٦/ ٣٧٧) رقم (١٢٨٥) (٧/ ٣٣٤).

صلاة جبريل بالنبى ﷺ
صبيحة ليلة الإسراء

قال ابن كثير: ولما أصبح رسول الله ﷺ من صبيحة ليلة الإسراء جاءه جبرائيل عند الزوال فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه فاجتمعوا وصلى به جبرائيل فى ذلك اليوم إلى الغد والمسلمون يأتمون بالنبى ﷺ وهو يقتدى بجبرائيل كما جاء فى الحديث عن ابن عباس وجابر: «**أمنى جبرائيل عند البيت مرتين**». فبين له الوقتين الأول والآخر. فهما وما بينهما الوقت الموسع، ولم يذكر توسعة فى وقت المغرب. وقد ثبت ذلك فى حديث أبى موسى وبريدة وعبد الله بن عمرو وكلها فى صحيح مسلم. فأما ما ثبت فى الصحيح عن عائشة قالت: فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر.

قلت: فلعل عائشة أرادت أن الصلاة كانت قبل الإسراء تكون ركعتين ركعتين ثم لما فرضت الخمس فرضت حضراً على ما هى عليه، ورخص فى السفر أن يصلى ركعتين كما كان الأمر عليه قديماً وعلى هذا لا يبقى إشكال بالكلية والله أعلم(١).

●●●●●

(١) «البداية والنهاية» (٣/١١٧ ـ ١١٨). باختصار.

الحكمة فى الإسراء بالنبى ﷺ إلى بيت المقدس قبل المعراج

قد يقول قائل: لماذا أُسْرِى بالنبى ﷺ إلى بيت المقدس ثم عُرِجَ به من هناك؟ ولماذا لم يعرج به من مكة أشرف البقاع وأحبها إلى الله؟

وقد أبان النسر فى هذا الشيخ الإمام أبو محمد بن أبى جمرة فى كتابه «بهجة النفوس» فقال ما خلاصته مع التوضيح: إن الحكمة فى الإسراء برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس قبل العروج به إلى السماء إقامة الحجة على المشركين والمتشككين، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمراغمة الكفار والضعفاء سبيلا إلى إلزامهم بالحجة إذ لا علم لهم بالعالم العلوى حتى يسألوا عنه فيجيبهم بما يقيم عليهم الحجة، بخلاف ما وقع بالفعل فإنه لما ذكر أنه أسرى به إلى بيت المقدس سألوه أن يصف لهم بيت المقدس، وكانوا يعرفونه فى تجاراتهم وأسفارهم. ويعلمون أيضاً أن النبى لم يكن رآه من قبل فلما أخبرهم بأوصافه كان ذلك أكبر آية على صدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس فى ليلة ورجوعه منه، وإذا تحققوا صدقه فى الإسراء لزمهم تصديقه فى بقية ما ذكره من المعراج ليؤمن من آمن عن بينة، ويكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه.

وأيضاً فإن بيت المقدس مهاجر الأنبياء وأول القبلتين، وثانى المسجدين المشرفين فأراد الله أن يشرف نبيه بالصلاة فى البقعتين المباركتين، وأن يحوز الفضيلتين.

ومن هذا البيان والإفصاح عن السر يتبين لنا الحكمة فى اقتصاره ﷺ صبيحة ليلة الإسراء والمعراج على الإخبار بالإسراء دون المعراج هذا إلى ما فيه من الرفق بالسامعين، والتلطف بهم فى قبول الغرائب والخوارق وذلك بالتدرج فى الإعلام بذكر الغريب ثم الأغرب.

ولعل هذا هو السر أيضاً فى اقتصار الكتاب الكريم على ذكر الإسراء تصريحاً ففيه رفق بالعباد ورحمة بهم أن لا يخبرهم بالخوارق فى دفعة واحدة[1].

---

(١) «الإسراء والمعراج» الدكتور محمد أبو شهبة (ص٦٩، ٧٠).

توضيح وتعليق

قال الدكتور محمد أبو شهبة: قد يستشكل بعض الناس وجود الأنبياء الذين لقيهم النبى ﷺ فى السماوات مع أن أجسادهم غير عيسى عليه السلام فى الأرض.

وللجواب عن هذا نقول: إن أرواح الأنبياء فى أعلى عِلِّيِّين فيجوز أن تكون أرواحهم تشكلت بصورة أجسادهم تشريفاً وتكريماً للقاء القادم الكريم. ويجوز أن يكونوا بعثوا من قبورهم وحلت أرواحهم فى أجسامهم استعداداً للقاء النبى ثم عادت أجسامهم إلى قبورهم، وبقيت أرواحهم فى مستقرها من السماء. ولا تستكثر شيئاً على قدرة الله سبحانه. وليكن فى عقلك فسحة لهذا وأمثاله.

ومثل هذا يقال أيضاً فى اجتماعهم بالنبى ببيت المقدس وصلاته بهم وثنائهم على ربهم. والذى أميل إليه هو التوجيه الأول. وتشكل الأرواح بصورة الأجساد أمر غير مستغرب ولعلك على ذُكر مما ذكرناه لك سابقاً عن الإمام ابن القيم من وجود الارتباط القوى بين أرواح النَّبِيِّينَ وأجسادهم وأنهم بهذا الارتباط يكون منهم بعض التصرفات التى لا تكون إلا من الأحياء، ولله فى ملكوته الذى يحيط به إلا هو آيات وعجائب، وما خفى علينا أكثر مما علمنا، والليلة كانت مليئة بالعجائب وخوارق العادات، وكل ما حدّث به النبى ﷺ وصح ثبوته عنه فهو حق لا شك فيه وصدق الله: **﴿ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى﴾**، **﴿وما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾**[1].

●●●●●

(١) «الإسراء والمعراج» الدكتور محمد أبو شهبة (ص٥٨، ٥٩).

رأى غريب فى الإسراء والمعراج

قال الشيخ محمد الغزالى: «وللدكتور هيكل رأىٌ غريب فى الإسراء والمعراج فقد اعتبره استجماعاً ذهنياً ونفسياً لوحدة الوجود من الأزل إلى الأبد، فى فترة من فترات التألق النفسانى الفذّ، الذى اختص به بشر نقىٌّ جليل مثل محمد ﷺ. وفى إبان هذا التألق الذى استعلى به على كل شىء - استعرض حقائق الدين والدنيا، وشاهد صور الثواب والعقاب . . إلخ»[1].

«وهاك ما ذكره فى كتابه بعد ما ذكر خلاف العلماء فى الإسراء والمعراج أهو بالجسد أم بالروح؟ قال: «فى الإسراء والمعراج فى حياة محمد الروحية معنى سام غاية السمو، معنى أكبر من هذا الذى يصورون، والذى قد يشوب بعضه من خيال المتكلمين حظ غير قليل. فهذا الروح القوى قد اجتمعت فيه فى ساعة الإسراء والمعراج وحدة هذا الوجود بالغة غاية كمالها، لم يقف أمام ذهن محمد وروحه فى تلك الساعة حجاب من الزمان أو المكان أو غيرهما من الحجب التى تجعل حكمنا نحن فى الحياة نسبياً محدوداً بحدود قوانا المحسة. والمدبرة، والعاقلة.

تداعت فى هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة محمد واجتمع الكون كله فى روحه فوعاه منذ أزله إلى أبده، وصوره فى تطور وحدته إلى الكمال عن طريق الخير والفضل، والجمال والحق فى مغالبتها، وتغلبها على الشر والنقص، والقبح، والباطل، بفضل من الله ومغفرة.

وليس بمستطيع هذا السمو إلا قوة فوق ما تعرف الطبائع الإنسانية فإذا جاء بعد ذلك ممن اتبعوا محمدا من عجز عن متابعته فى سمو فكرته، وقوة إحاطته بوحدة الكون فى كماله، وفى جهاده لبلوغ هذا الكمال فلا عجب فى ذلك ولا عيب فيه»[2].

(١) «فقه السيرة» محمد الغزالى (ص ١٣٨).

(٢) حياة محمد، ص ١٨٩، ط: الثانية.

* بطلان فكرة وحدة الوجود:

وفكرة وحدة الوجود فكرة خاطئة وافدة إلى الإسلام فيما وفد إليه من آراء فاسدة وهى من مُخَلَّفات الفلسفات القديمة، وقد انتصر لها وتشيع بعض المتصوفة الذين ينتسبون إلى الإسلام، وكتبوا فيها فكان عاقبتهم الإلحاد فى الله وصفاته.

وقد أبان بطلانها كثير من علماء الأمة الراسخين فى العلم، المتثبتين فى العقيدة والقول بها يؤدى إلى القول بالطبيعة، وقدم العالم وإنكار الألوهية، وهدم الشرائع السماوية التى قامت على أساس التفرقة بين الخالق والمخلوق، وبين وجود الرب، ووجود العبد، وتكليف الخالق للخلق بما يحقق لهم السعادة، ومقتضى هذا المذهب أن الوجود واحد، فليس هناك خالق ومخلوق، ولا عابد ومعبود، ولا قديم وحادث، وعابدوا الأصنام والكواكب والحيوانات حين عبدوها إنما عبدوا الحق؛ لأن وجودها هو وجود الحق إلى آخر خرافاتهم التى ضلوا بسببها، وأضلوا غيرهم، والتى أضرَّت بالمسلمين، وجعلتهم شِيَعًا وأحزابًا، ولقد بلغ من بعضهم أنه قال: إن النصارى ضلوا لأنهم اقتصروا على عبادة ثلاثة ولو أنهم عبدوا الوجود كله لكانوا راشدين، وقال بعض المعتنقين لهذه الفكرة الفاسدة:

العَبْــدُ حــَقٌ والرَّبُّ حَقٌّ   يا ليتَ شِعرى مَن المُكَلّف؟
إن قلت: عبدٌ فذاك ربٌ   أو قلــت ربٌّ أنَّــى يُكَلّفُ؟

قال العلامة تقى الدين أحمد بن تيمية الحرانى فى كتابه «الرد على المنطقيين»[1] بعد أن ذكر الفناء المحمود، والفناء المذموم.

«ولهذا لما سلك ابن عربى وابن سبعين وغيرهما هذه الطرق الفاسدة أورثهم ذلك «الفناء عن وجود السوى» فجعلوا الموجود واحداً ووجود كل مخلوق هو عين وجود الحق، وحقيقة الفناء عندهم أن لا يرى إلا الحق، وهو الرائى والمرئى، والعابد والمعبود، والذاكر والمذكور، والناكح والمنكوح، والآمر الخالق هو المأمور المخلوق، وهو المتصف بكل ما يوصف به الوجود من مدح وذم، وعباد الأصنام ما

(١) ص ٥٢١ . ط : الهند.

عبدوا غيره، وما ثم موجود مغاير له البتة عندهم وهذا منتهى سلوك هؤلاء الملحدين.

وأكثر هؤلاء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود يقولون: إن فرعون أكمل من موسى، وأن فرعون صادق فى قوله: أنا ربكم الأعلى؛ لأن الوجود فاضل ومفضول، والفاضل يستحق أن يكون رب المفضول، ومنهم من يقول: مات مؤمناً، وأن تغريقه كان ليغتسل غسل الإسلام».

وهكذا نرى أن هذه العقيدة الزائفة تصادم نصوص الدين القطعية، ولا توافق شيئاً من الكتاب والسنة النبوية، وأن العقيدة الإسلامية السمحة براء من مذهب وحدة الوجود.

وتفسير الإسراء والمعراج بهذه الفكرة يقتضى إنكارهما على حسب ما جاء به القرآن والسنة الصحيحة المشهورة فليس هناك إسراء حقيقة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بذات النبى ﷺ، وليس هناك عروج بالنبى من بيت المقدس إلى السماوات السبع، ولا صلاة بالأنبياء، ولا لقاء، ولا تسليم، ولا تكليم.

وما الداعى إلى ذلك ما دام الكون كله قد اجتمع فى روح النبى كما قال صاحب هذا الرأى، فالمسجد الحرام والأقصى فى روحه، والسماوات وما فيهن فى روحه!!

ثم ما الداعى إلى كل هذا التكليف والإغراب من الدكتور هيكل ـ رحمه الله ـ فى فهم نصوص صريحة جاءت بلسان عربى مبين.

والإسراء والمعراج كما جاء بهما القرآن والأحاديث الصحيحة أقرب منالاً وأشد استساغة لعقول الناس لهما مما ذهب إليه.

ولو جلست زماناً لتُفَهِّمَ رجلاً أميًّا أو متعلماً بالإسراء والمعراج على رأى الدكتور ما أنت بمستطيع إفهامه هذه الألغاز والطلاسم التى حاول بها إحداث رأى جديد لا يُدْرَى سُبِقَ إليه أم لا؟

وهل تصوير الإسراء والمعراج بهذا التصوير إلا إشكال على عقول الكثرة من الناس، ومخاطبة لهم بما لا تبلغه عقولهم ومداركهم. وقد أمرنا أن نحدث الناس

بما يعقلون وأن ندع ما ينكرون، وفى الحكم الذهبية عن الصحابى الجليل عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه «ما أنت بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لا تبلغُهُ عُقُولُهُم إلا كان فتنةً لبعضِهم».

الحق أن الإغراب على القراء بمثل هذه الأفكار المسمومة تشكيك لهم فى عقائدهم الصحيحة وتسميم لعقولهم بالآراء الزائفة، والحق أبلج واضح لا يحتاج إلى تكلف وتعمق وتفلسف من غير داع : ﴿**وما أنا من المتكلفين**﴾[1].

وهذا آخر ما تيسر لى الوقوف عليه فى مسألة الإسراء والمعراج.

وقد وقفت على الشبهات التى أثارها الدكتور/أحمد شلبى أستاذ التاريخ الإسلامى جامعة القاهرة وذلك فى رسالة «الإسراء والمعراج» وهى الجزء الثالث من مائة جزء مما سماه «المكتبة الإسلامية المصورة لكل الأعمار» وكنت أرغب فى إيراد شبهاته والرد عليها غير أنى أعرضت عن هذه الفكرة بعد أن وقفت على كتاب «السراج الوهاج لمحو أباطيل الشلبى عن الإسراء والمعراج» للعلامة حمود بن عبدالله التويجرى. وهو كتاب جيد فى بابه. فانظره ـ أخى المسلم ـ إن شئت.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

●●●●●

(١) «الإسراء والمعراج» الدكتور محمد أبو شهبة (ص ٣١ ـ ٣٤).

الفهرس

الموضوع	الصفحة

●●●●●